أعلام وصافهم واصناف

بقلم الشيخ
أبو جعفر سفيان عزالي - حفظه الله

أصناف العلماء و اوصافهم

بقلم :

أبو حفص سفيان الجزائري

قدّم له :

فضيلة الشيخ أبو محمد المقدسي

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

ليس من عادتي أن أكتب الإهداء في بحوثي ، فكانت هذه المرّة الأولى ، فأردتُ أن أهدي كتابي إلى فضيلة الشيخ الصّادع بالحق ، الصابر في سبيل الله ، الصامد لمرضات الله نحسبه و الله حسيبه ، و نسأل الله له الثبات

العلاّمة عمر عبد الرحمن حفظه الله و فكّ أسره

إعتذار

لقد صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في ظروف صعبة قبل تنقيحه و مراجعته ، فأعتذر للإخوة قائلا بأنّ هذه الطبعة الثانية المنقّحة هي المعتمدة

أسأل الله للجميع التوفيق و السّداد

أبو حفص سفيان الجزائري

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشيخ المقدسي

الحمد لله الذي أكرم رسله وورثتهم ورفع ذكرهم وأثنى عليهم بقوله : {الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا}

والصلاة والسلام على خاتم النبيين القائل : (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الرجال ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا) متفق عليه

وبعد فإننا في هذا الزمان الذي شح فيه أهل العلم الربانيون ؛ فهم ما بين قتيل أو طريد أو سجين أو محارب أومحصور ؛ بتنا نعاني من كثرة الرؤوس الجهال الذين هم ضالة الحكومات الطاغوتية وبغيتها يبرّزونهم في المناصب ويصدّرونهم على المنابر ويقدّمونهم في الإعلام المقروء والمسموع والمرئي ؛ ليجعلوا منهم مرجعيّات للجماهير ، يفرضونهم على الناس فرضا ويستبدلون دناءتهم ودونيتهم بخير العلماء الربانيين والدعاة الصادقين ..

وكل يعمل على شاكلته وربك أعلم بمن هو أهدى سبيلا ..

حتى لمعت في سماء الفضائيات أسماء خانت دينها وربها وأخلدت إلى الأرض فأطلق الطواغيت ألسنتها وصار ديدنها وشغلها الشاغل الطعن في الجهاد والمجاهدين والترقيع للطواغيت والمحاربين ..

{واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون}.

وقد صار تعويل الطواغيت على هؤلاء الأئمة المضلين عضّوا عليهم بالنواجذ وسخّروا لهم المنابر ونشروا لهم الكتب وفتحوا لهم الإذاعات فسار باطلهم وطار في الآفاق .. ولكنه كزبد البحر كثير بلا بركة (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) .. ولم يأت إبراز وتصدير هؤلاء الذين قال محمد بن مسلمة عن أمثالهم : (الذباب على العذرة، أحسن من قارئ على باب هؤلاء (يقصد الحكام) .

أقول لم يأت تبريز هؤلاء وتصديرهم في مقابل تكميم أفواه الدعاة الصادقين ؛ خبط عشواء أو بكدّهم هم واجتهادهم كلا ؛ بل ضمن مخطط مدروس وتوصيات مكتوبة لكثير من المؤسسات ومراكز الدراسات الأمريكية التي تملي توصياتها إملاء على حكام منطقتنا ومن تلك المؤسسات مؤسسة راند الأمريكية؛

التي أوصت ولا زالت توصي بإسقاط مرجعيات التيار السلفي الجهادي وإبراز من سمّتهم بالمشايخ المعتدلين الذين يقدّمون الإسلام الذي يتناسب مع واقع العصر ورغبات الأمريكان .. وهذا بعض مكرهم مكر الليل والنهار الذي تعرف منه بعض أسباب الهجمات الشرسة التي يتعرض لها كثير من علماء ومشايخ ورؤوس هذا التيار السلفي الجهادي المبارك ..

كل ذلك ليخلو الجو أولئك العلماء العملاء فيعملوا ما بوسعهم على تدجين الأمة وتخنيثها ، وتركيعها لأعدائها وأعداء دينها ، وتسخير الدين لخدمة الطاغوت وأوليائه من أعداء الدين بتدبيج الفتاوى التي ترقّع باطلهم ، وتسوغ أحكامهم الطاغوتية المناقضة لأحكام الشريعة ، فتخفّف من كفريّاتهم بجعلها كفرا أصغر أو تلغيها بالمرّة، وتسبغ الشرعية على حكمهم ، والتبريرات المتنوعة على توليهم لكفار الغرب والشرق ؛ وتقف درعا حصينا وجنديّا مخلصا في وجه كل من كفرهم أو طعن في ولايتهم أو دعا إلى الخروج عليهم ..

وقد قال تعالى في أمثال هؤلاء : {إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون} وجعل توبتهم ليست كأي توبة !! بل جعلها مشروطة بالبيان والإصلاح {إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم}وذلك لما اقترفوه من ضلال وإضلال .

وقد قال شيخ الإسلام بن تيمية: (ومتى ترك العالم ما علمه من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واتبع حكم الحاكم المخالف لحكم الله ورسوله كان مرتدا كافرا يستحق العقوبة في الدنيا والآخرة) [الفتاوى ج35 ص372 – 373].

فمعلوم أن من لم يستطع الصدع بالحق لاستضعافه ؛ فإنه لا يعجز من الامتناع عن قول الباطل ونصرته؛ فإذا كان الساكت عن الحق شيطان أخرس كما يقال ؛ فلا شك أن الشيطان الناطق بالباطل المشوّه للحق شر منه ..

وقد قال المصطفى صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا ، أو ليصمت) رواه البخاري.

فهذان الخياران لا ثالث لهما أمام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ؛ ووسط هذه الظلمات المتشابكة والدواهي المتتالية التي دهت أهل الإسلام ؛ لم يعد يملك الصمت من انتسب إلى العلم والدعوة والسنة والكتاب ولا يسعه السكوت .. فقد حمّله الله أمانة عظيمة (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه)

وأوصاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشهادة (على المحسن بأنه محسن وعلى المسيء بأنه مسيء)

وحذره قائلا : (ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهده، فإنه لا يقرب من أجل ولا يباعد من رزق أن يقول بحق أو يذكّر بعظيم).

فلم يبق إذن للعلماء الربانيين في زماننا إلا الخيار الأول قول الخير والصدع بالحق وتحمّل تكاليفه ..

ورحم الله إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل القائل : (أأنجو بنفسي وأضل هؤلاء؟!)، (إذا تكلم الجاهل بجهل وسكت العالم تقية فمتى يعرف الحق؟!).

فهؤلاء هم نجوم السماء التي يهتدي بها الناس في الظلماء ، وهم رجوم شياطين التجهم والإرجاء الذين يبطلون شبهاتهم ويكشفون زيوفهم ويعرون باطلهم ، وهم الشهب الراصدة الثاقبة التي تدحر باطل الطواغيت وتظهر كفريّاتهم تمهيدا لاقتلاعها من جذورها وتقويضها .

ولقد طالعت كتاب[1] أخينا وحبيبنا الشيخ الفاضل / أبي حفص سفيان الجزائري

حفظه الله تعالى ونفع به وبعلمه ؛ وجعله من أئمة الهدى ومصابيح الدجى ؛ فوجدته طيبا نافعا في هذا الباب ، يثري المكتبة الإسلامية ويوجّه أنظار طلبة العلم لاقتفاء آثار علماء الأمة الربانيين والسعي كي يكونوا منهم ؛ ويحذّرهم من سبيل من أخلد إلى الأرض واتبع هواه من علماء الحكومات ..

أسأل الله تعالى أن يبارك في سعيه ويتقبل منا ومنه ويستعملنا وإياه في نصرة دينه ويجعل ما خط بنانه لنصرة هذا الدين نورا في صحائف أعماله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ..

وكتب
أبو محمد المقدسي
ربيع الأول 1430
من هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام

بين يدي الكتاب

عواقب سكوت علماء الدين من الضلال في الدين

[1] - أصناف العلماء و اوصافهم .

بقلم العلاّمة محمد البشير الإبراهيمي[2]

للقوّة والسلطان أثر في الأبدان, وأثر في الأرواح؛ وأقوى الأثرين تأثيراً وأظهرهما وسما، وأبقاهما على المدى، ما كان في الأرواح؛ لأنّ التسلط على الأبدان يأتي من طريق الرهبة، والرهبة عارض سريع الزوال؛ أمّا التسلط على الأرواح فبابه الرغبة، والدافع إليه الاقتناع والإختيار.

ولعلماء الإسلام سلطان على الأرواح، مستمد من روحانية الدّين الإسلامي وسهولة مدخله إلى النفوس: تخضع له العامّة عن طواعية ورغبة، خضوعا فطرياً لا تكلف فيه، لشعورها بأنّهم المرجع في بيان الدّين، وبأنّهم لسانه المعبر حقاً عن حقائقه، والمبين لشرائعه، وبأنّهم حُراسه المؤتمنون على بقائه، وبأنّهم الورثة الحقيقيون لمقام النبوّة؛ وكان العلماء يجمعون بين وظيفة التبيين في التعبديات، وبين وظيفة التقنين في المعاملات؛ أمّا الخلفاء فلم تكن وظيفتهم . في الحقيقة . إلاّ التنفيذ لما يراه العلماء من مصلحة في المعاملات الفردية أو الإجتماعية.

كان هذا السلطان ظاهراً على أشده، متجلياً في سطوعه في صدر الإسلام يوم كان العلماء قوّامين على الكتاب والسنة، جارين على صراطهما واقفين عند حدودهما، قائمين بفريضة الأمر بما عرفاه والنهي عما أنكراه، لا يهدون الأمّة إلاّ بهديهما؛ فكان سلطانهم نافذاً حتّى على الخلفاء، وألسنتهم مبسوطة بالنقد والتجريح لكلّ من زاغ عن صراط الدّين كائناً من كان؛ وكان رأيهم هو المرجع في مصالح الدّين والدنيا؛ لا جرم كان خلفاء الدنيا من معاوية وهلمّ جراً يعرفون لهم هذا السلطان الواسع، يتخذ منه الموفقون منهم عوناً على الخير والإصلاح فلا يقطعون دونهم رأيا ولا حكما؛ ولا يتبرم به المستبدون منهم، لأنّهم يرون فيه سلطاناً على سلطانهم، فيأخذون في توهينه، تارة بالمصانعة المرائية والإستلاف المخادع، وتارة بالمنابذة المكشوفة والتجني المعاند.

بايع معاوية لابنه يزيد، وحمل الأمّة على البيعة له بالترغيب والترهيب والمطاولة، فتم له ذلك؛ ولكنّه كان يرى تلك البيعة كاللغو، ما لم يبايع العبادلة والحسن، لمكانتهم في العلم ومكانتهم من الأمّة؛ فعمد إلى الحيلة المستظهرة بالسيف؛ وكذلك فعل بنو مروان كلّما تخلف مثل سعيد بن المسيب عن البيعة؛ وكذلك فعل الخلفاء بعدهم في قضية البيعة أيّام اشتداد سلطان العلماء وامتداده، حتّى انتقل أمرها إلى طور آخر، وأصبحت في أيدي الأمراء والقواد والأجناد، وخرجتْ من يد الخلفاء والعلماء معا؛ وكأنّما كان ذلك عقوبة من الله للخلفاء على تعاليهم، وللعلماء على تنازلهم؛ وما وقع في البيعة وقع في غيرها من مصالح الأمّة التي يتنازعها السلطانان.

---

[2] – من كتاب عيون البصائر .

بقي العلماء . مع ذلك . ظاهرين على الحق، يتولون القيادة الحقيقية للأمّة في غير ما يمس السلطان المادي الزائف، وكانوا أيقاظاً لكلّ حدث يحدث في الإسلام، وكانوا كلّما رأوا شبحَ بدعة خفوا إلى إزالتها، وكلّما أحسوا بضلالة ومنكر في الدّين بادروا إلى تغييره بالفعل والقول: يُحسم لهم الإحتياط الصغائر فيعاملونها معاملة الكبائر؛ لا يتساهلون ولا يترخصون، سداً لذرائع الفتنة والضلال؛ وكانوا يصدرون في أعمالهم وأحكامهم عن الكتاب والسنة، فيصدرون عن الدليل الّذي لا يضل، ويستندون إلى الحجّة التي لا تدحض، وكانت الأمّة ترجع إليهم، فترجع إلى وحدة متماسكة في الدّين لا تتفرق بها السبل، ولا تتشعب الآراء؛ إلى أن فتنتهم المذاهب والخلافات الجدلية في أصول الدّين وفروعه، وغطت عليهم العصبيات المذهبية وجه الحق، فرأت منهم العامّة غير ما كانت ترى من وحدة في الدّين، عاصمة لوحدتها في الدنيا، ووحدة في العلم، عاصمة من تفرقها في المصالح؛ وجروها إلى ما هم فيه من خلاف، فجرتهم إلى ما هي فيه من فساد؛ وضعف لذلك سلطانهم عليها، فتوزع أمرَها أمراء السوء الظالمون، وقادة السوء الجاهلون، واجتمع هؤلاء على قصد واحد وهو استغلال العامّة فاصطلحوا.

لم يزلْ أمراءُ السوء يكيدون للعلماء حتى زحزحوهم . مع تطاول الزمن . عن مكان القيادة الروحية للأمّة، وصرفوهم عنها واستبدلوا بهم في استمالة الدهماء، والعامّة قادة لبسوا لبوس الدّين ليغروا باسمه، وزهدوا في العلم إذ ليسوا من أهله، واستمدوا قوّتهم من قوة الأمراء؛ وتقارض الفريقان الشهادات بالتزكية والتراضي على المنافع والسكوت عن المنكر؛ هؤلاء يُضلونها، وهؤلاء يُذلونها، والإضلال في الدّين وسيلة الإذلال في الدنيا؛ واستنامت الأمّة على الهدهدة باسم الدّين، وعلى الاغترار بما يزينون لها من الجهل، وما يقبحون لها من العلم, وما يقربون لها من طرق الجنّة, وهم في ذلك كلّه لا يقربونها إلى الله إلاّ بما يبعدها عنه من بدع ومحدثات؛ والعلماء في هذه المرحلة غافلون يغطون في نومة أرْبت في الطول عن نومة أصحاب الكهف والرقيم، إلى أن فتحوا أعينهم على دين غير الدّين، فشبهَ لهم؛ وأصبحوا تابعين، بعد أن كانوا متبوعين، وأصبحوا يُزكون بعملهم ذلك الجهل ويشهدون لأولئك القادة الجاهلين بالكمال والفضل؛ ولأولئك المبتدعين بما انتحلوه لأنفسهم من الولاية والكرامة، على المعنى الّذي اخترعوه، لا على المعنى الذي جاء به الدّين، ثمّ لم يكتفوا منهم بذلك حتى نحلوهم خصائص الألوهية. وشعر أولئك المبتدعة بتهور العلماء للمطامع الخسيسة، وسقوطهم على المطاعم الخبيثة، فقادوهم بزمامها؛ ثمّ شعروا بإقرارهم للمهانة والذل في نفوسهم، فأمعنوا في تحقيرهم وإغراء العامّة بهم، وأهان العلماء أنفسهم، فسهل الهوان عليهم، فأصبحوا أذلّ من يعشون عالة عليهم، ويتساقطون على فتات موائدهم، ويتطوعون لهم حتّى بأخس شهواتهم، ويشهدون لهم الزور على الله ودينه، ويحلون لهم من اللذائذ ما حرم الله، وعلى هذه الحالة أدركنا عصرنا وأهل عصرنا. والشرب مشوب من قديم، ولكن آخر الدنّ دُرْدى.

ولقد رأيت بعينيّ معاً منذ سنين في طريق مناره من تونس، عالماً يُعدّ في الطبقة الممتازة في علماء جامع الزيتونة، يهوى بالتقبيل على يد مخرف مبتدع جاهل متعاظم، لو حُكمت لحكمتُ بأن يكون عبداً لذلك العالم، فرأيت يومئذ كيف تُعبد الأصنام، وعلمتُ كيف يكون العالم سبةَ للعلم، وخطر ببالي قول المتنبي:

وقد هام قوم بأصنامهم***فأما بزق رياح فلا

وسقط ذلك العالم من حسابي، فما ذكرته بخير حيا، ولا ترحمت عليه ميتاً، ولا عددت موته . كموت العلماء . ثلمة في الإسلام ![3]...

ما ظلم الله العلماء، ولكن ظلموا أنفسهم؛ ولم يشكروا نعمة العلم، فسلبهم الله ثمراته من العزة والسيادة، والإمامة والقيادة؛ وكان لخلو ميدان السلطة والأمر منهم أثر فاتك في عقائد المسلمين وأخلاقهم؛ وكان من نتائجه إلقاء الأمّة بالمقادة إلى من يُضلّ ولا يهدي من المشعوذين الدجالين. فأضلوها عن سواء السبيل، ومكنوا فيها للداء الوبيل، وأعضلُ أنواعه الاستعمار، الذي وجد منهم مطايا ذُللا سماحاً إلى غاياته الخبيثة في الإسلام والمسلمين.

ولو كان العلماء هم القادة، وكانوا أحياء الضمائر والمشاعر، وكانوا . كما كانوا شداد العزائم والإرادات، لوجد منهم الاستعمار في مشارق الإسلام ومغاربه حصوناً تصدّ، ومعاقل ترد.

أما والله . ألية المسلم البر, وسريرة الضمير الحر . لا ترجع هيبة العلماء إلى مستقرها من نفوس الأمّة حتى يقوموا بعهد الله في بيان الحق، ويتظافروا على حرب البدع والضلالات التي لابست الإسلام، ولبست عقائده ففسدت، وآدابه فكسدت، ولبستْ على المسلمين دينهم فأصبحتْ حقائقه في واد، وعقولهم في واد، وحتى يَجلوا على الأمّة تلك الكنوز الدفينة في كتاب الله كتاب الإنسانية العليا، وفي سيرة محمد دستور الحق والخير والكمال .

---

[3] – ماذا لو رأى رحمه الله تعالى بعض علماء هذا الزمان كيف يقبّلون أيدي أو رؤوس أو اكتاف من بدّل شرع الله و حكّم القوانين الوضعية ، و فرض ذلك كلّه على الأمّة بالقوّة ، حسبنا الله و نعم الوكيل .

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله نحمده ، و نستعينه و نستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا .
من يهده الله فلا مضل له ، و من يضلل فلا هادي له .
و أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له و أشهد أنّ محمدا عبده و رسوله .

أمّا بعد : في ظل الصراع المحتدم بين الحق و الباطل في هذا العصر العصيب ، و بعدما تمكّن أهل الباطل من السيطرة على حكام المسلمين ، علموا أنّهم لن يضفروا بالنصر مادامت طائفة من هذه الأمّة متمسّكة بمصدر قوّتها و عزها فيحاولون جهدهم لمسخ هويّة هذه الأمّة ، وذلك بإبعادها عن مصدر قوّتها ، و هو دينها ، و لمّا عجزوا في كثير من المرّات من تحريف نصوص الشرع – أي القرآن و السّنة – لحفظ الله تعالى لها ، يحاولون الآن تحريف مفاهيم هذه النصوص ، و ذلك إمّا بإحداث تفسيرات جديدة مناقضة و معارضة لفهم السلف ، و إمّا بإتباع زلاّت بعض العلماء ليُلفقوا على إثر ذلك منهجا جديدا لفهم النصوص ، سخروا من أجل ذلك أموالا و طاقات بشرية هائلة، و لا يتمّ لهم النجاح إلاّ بتلميع من يساعدهم على هذا الدور من طلبة العلم و المشايخ سواء بعلم ذاك المساعد أو بدون علمه ، و في المقابل تقزيم و تضييق على كلّ من تفطن لكيدهم من المشايخ و طلبة العلم و نبّه الأمّة عن مخططاتهم .

قال[4] العلاّمة المعلّمي : كثرت الخدع و إنتشرت البدع و عُبد الهوى و بئس المعبود ، و إشتبه المحمود بالمذموم ، و المذموم بالمحمود ، و كانت البليّة العظمى ، و الرّزية الكبرى قلّة العلماء و تقاعدهم عن نصر الحق ، ما بين خوّار يخاف الناس أشدّ من خوف الله ، و جبّار يرغب في الشهرة و السمعة و الجاه ، و مفتون بحب الحطام ، و خوف الفطام ، و آخر و آخر لا نطيل بذكرهم ، و لا نبالغ الآن بهتك سترهم . لا جرم إتّخذ الناس رؤساء في الدّين جهّالا ، فلم يألوا أنفسهم و غيرهم خبالا ، فلا يكاد يُرى لهم رادع ، و لا لأنوفهم جادع ، بل و لا قادع .

إذا غاب ملاّح السفينة و إرتمت بها الريح يوما دبّرتها الضفادع

و خلا الجوّ للملحدين و أعداء الدّين ، فبالغوا في العيث و العبث ، و دفنوا المحض ، و نشروا الخبث ، و كان ما كان ، و الله المستعان . إنتهى

في ظل ذلك يحار كثير من شباب الصّحوة إلى من يرجع لمعرفة مختلف الأحكام التي طرأت على هذه الأمّة ، فمنهم من لا يعرف إلاّ الملمّعين ، و منهم من عرف الصنفين لكنّه سار على وفق المخطط و هو التّلميع و التقزيم بإسم الجرح و التعديل ، و منهم من عرف الحق و أخرص لسانه ، و منهم من عرف الحق و صدع به على قدر الإمكان .

---

[4]– صدع الدّجنة في فصل البدعة عن السنّة ، ص : 7 – 8

أردت من خلال هذا البحث أن أبيّن أصناف العلماء و صفاتهم لعلّ من أراد إدراك الحق أن يستفيد من هذا الطرح و الله المستعان ، و قد تجنّبتُ ذكر الأسماء غير المرضية و إكتفيتُ بتأصيل المسائل لتكون أنفع .

و كانت مباحث هذا الكتاب على الشكل التالي :

بعد المقدّمة ، و كلمة الإمام محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله بين يدي الكتاب

– باب : ما جاء في فضل العلماء .

/ من القرآن . / من السنّة . = تنبيه ضروري .

– باب : ما ورد من أنّ العلماء أقسام .

/ من القرآن . / من السنّة . / بعض ما جاء عن السلف الصالح .

– باب : ما ورد في ذمّ دخول العلماء على الحكام .

/ من القرآن . / من السنّة . / ما ورد عن السلف الصّالح .

– باب أصناف العلماء .

* فصل عالم أمّة . / شبهة و الردّ عليها .

* فصل عالم دولة . / أقسامهم .

/ القسم الأوّل . / شبهات و الرّد عليها .

/ القسم الثاني .

/ فضح الله تعالى هذا القسم .

/ شبهة و الرّد عليها .

/ التحذير من التّعصب .

/ طريقة السلف في الأخذ بأقوال أهل العلم .

* فصل : عالم ملّة .

/ من أهمّ أوصافه . / شبهات و الرّد عليها .

– باب : نماذج من العلماء الربّانيين الصّادعين بالحق .

– الخاتمة . نسأل الله أن يختم لنا على أحسن الأعمال .

فإن وفّقتُ في هذا الطرح فالفضل لله جلّ و علا ، و إن أخطأتُ :

فسبحانك اللّهم و بحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت أستغفرك و أتوب إليك

أبو حفص سفيان الجزائري

باب : ما جاء في فضل العلماء

في فضل العلماء آيات كثيرة وأحاديث جمّة ، أختصر على ذكر بعض منها :
أمّا من القرآن :

- إستشهاد الله تعالى أهل العلم على وحدانيته : قال تعالى:(شهد الله أنّه لا إله إلاّ هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم)[5] .

فقد شرّف الله أهل العلم ونوّه بهم، وعظم شأنهم سبحانه وإستشهدهم على توحيده والإخلاص له ، و هذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام .

قال القرطبي في تفسير هذه الآية : في هذه الآية دليل على فضل العلم و شرف العلماء و فضلهم ، فإنّه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله بإسمه و إسم ملائكته كما قرن إسم العلماء . إنتهى

و أهل العلم الّذين نوّه الله بذكرهم هم أهل التوحيد الخالص الصّادعين به ، فالشهادة لا تكون إلاّ عن علم و يقين بالمشهود به ، و المشهود به هو " لا إله إلاّ الله " فالشهادة بمنزلة المشاهدة بالبصر ، فمن لم يصل في التوحيد إلى هذه الحالة من العلم و اليقين فليس من أولي العلم .[6]

- أهل العلم لا يستوون مع غيرهم : قال تعالى (قل هل يستوي الّذين يعلمون والذين لا يعلمون إنّما يتذكّر أولوا الألباب)[7] . فالآية في سياقها تدلّ على أنّ أهل العلم من أهل التوحيد العاملين به لا يستوون مع من جعل لله أندادا ليضلّ عن سبيله ، قال الله تعالى : (و إذا مسّ الإنسان ضرّ دعا ربّه منيبا إليه ثمّ إذا خوّله نعمة نسي ما كان يدعوا إليه من قبلُ و جعل لله أندادا ليضلّ عن سبيله قل تمتّع بكفرك قليلا إنّك من أصحاب النّار ، أمّن هو قانت ءاناء الّيل ساجدا و قائما يحذر الأخرة و يرجوا رحمة ربّه قل هل يستوي الّذين يعلمون و الّذين لا يعلمون إنّما يتذكّروا أولوا الألباب) .

و قوله تعالى : " إنّما يتذكّر أولوا الألباب " أي إنّما يعلم الفرق بين أهل التوحيد العاملين و بين غيرهم من له لبّ و هو العقل ، قال العلاّمة عبد الرحمن السعدي في تفسيره لهذه الآية : " إنّما يتذكر " إذا ذكروا ، " أولوا الألباب " أي أهل العقول الزكيّة الذكيّة ، فهم الّذين يؤثرون الأعلى على الأدنى ، فيؤثرون العلم على الجهل ، و طاعة الله على مخالفته ، لأنّ لهم عقولا ترشدهم للنظر في العواقب ، بخلاف من لا لبّ له و لا عقل ، فإنّه يتّخذ إلهه هواه . إنتهى

- يرفع الله أهل العلم درجات : قال تعالى :(يرفع الله الّذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات [8])، بيّن الله سبحانه أنّه يرفع درجات أهل العلم بحسب ما خصّهم الله به من العلم و الإيمان ، وما ذلك إلاّ لعظيم آثارهم في النّاس ونفعهم لهم .

---

[5] – سورة آل عمران (الآية : **18**)

[6] – أنظر تفسير العلاّمة عبد الرحمن السعدي على هذه الآية الكريمة

[7] – سورة الزمر (الآية : **9**)

[8] - سورة المجادلة (الآية : **11**)

و يشهد لهذا المعنى ما رواه مسلم في صحيحه عن عامر بن وائلة أبي الطفيل ، أنّ نافع بن عبد الحارث أتى عمر ابن الخطاب بعسفان، وكان عمر استعمله على أهل مكّة ، فقال له عمر ، من استخلفت على أهل الوادي ؟! .

قال: استخلفت عليهم ابن أبزى.

فقال : من ابن أبزى ؟

فقال : رجل من موالينا.

فقال عمر : استخلفت عليهم مولى.

فقال : إنّه قارئ لكتاب الله ، عالم بالفرائض.

فقال عمر : أما إنّ نبيّكم صلى الله عليه وسلم قد قال: إنّ الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين.

- أهل العلم هم أهل خشيته : قال تعالى : (إنّما يخشى الله من عباده العلماء)[9] ، فالخشية هي الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه وهذا لا يبلغه إلاّ من سلك درب العلم النافع ، فالله عز وجلّ بيّن أنّ العلماء هم الّذين يخشونه على الحقيقة والكمال، وإن كانت الخشية موجودة من المؤمنين عموما ومن بعض الآخرين، ولكن خشية الله على الكمال والحقيقة للعلماء بعد الأنبياء و الرسل عليهم الصّلاة و السّلام .

قال[10] الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى : أي إنّما يخشاه حقّ خشيته العلماء العارفون لأنّه كلّما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال ، المنعوت بالأسماء الحسنى كلّما كانت المعرفة به أتمّ ، والعلم به أكمل كانت الخشية أعظم وأكثر. إنتهى

فحقيقة العلم ما وقع في القلب ثمّ ظهر على اللسان فأفاد العمل و أورث الخشية و التّقوى .

أمّا ما ورد في السنّة منها :

- العلماء ورثة الأنبياء : قوله صلى الله عليه وسلّم (...وأنّ العلماء ورثة الأنبياء...) .

روى الترمذي في جامعه [11]، عن قيس بن كثير قال : قدم رجل من المدينة على أبي درداء و هو بدمشق ،

---

[9] – سورة فاطر (الآية : **28**)

[10] – تفسير القرآن العظيم للإمام إبن كثير على هذه الآية .

[11] – كتاب العلم ، باب : في فضل العلم على العبادة (رقم : **2159** ، صحيح سنن الترمذي)

فقال : ما أقدمك يا أخي ؟ . قال : حديث بلغني أنّك تحدثه عن رسول الله صلّى الله عليه و سلّم . قال : أما جئت لحاجة ؟ . قال : لا . قال : أما قدمت لتجارة ؟ . قال : لا . قال : ما جئت إلاّ في طلب هذا الحديث .

قال : فإنّي سمعت رسول الله عليه الصّلاة و السّلام يقول : " من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنّة ، و إنّ الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم ، و إنّ العالم ليستغفر له من في السموات و من في الأرض حتّى الحيتان في الماء ، و فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، إنّ العلماء ورثة الأنبياء ، إنّ الأنبياء لم يورِّثوا دينارا و لا درهما ، إنّما ورَّثوا العلم ، فمن أخذ به أخذ بحظّ وافر " .

فالعلماء الّذين هم ورثة الأنبياء هم الّذين ورثوا من الأنبياء العلم النافع و العمل الصّالح و الحرص على الدّعوة و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و الجهاد في سبيل الله ، و الصبر على الأذى رغبة في رضوان الله تعالى ، هكذا كان حال الأنبياء عليهم الصّلاة و السّلام .

قال[12] العلامة محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله تعالى في رسالته إلى العلامة أبو الأعلى المودودي بعد خروجه من السجن : وصلتني رسالتكم الكريمة تهب بنفحات من تلك النفس الزكيَّة التي صفت كما يصفو الذهب على السبك، وابتلاها الله بأقسى ما يبتلي به عباده المؤمنين، فصبرت، وحققت أنَّ صاحبها ممن وصفهم القرآن بأنهم أحسن عملاً، ومحصها بأصناف من التمحيص فخلصت متلألئة مشرقة سامية عن المعاني الترابية التي ارتكس فيها كثير من هذا الصنف العلمي و وا أسفاه.

الإسلام – أيها الأخ الجليل – في حاجة اليوم إلى ذلك الطراز السامي الذي قام عليه عموده في الأرض يوم نزل فيها على قلب محمد – صلى الله عليه وسلم – محتاج إلى تلك الأمثلة العالية من الصبر على الحق والموت في سبيله، ولقاء المنايا كالحات في ميدان نصرته، وإعزاز قبيله، وتمهيد سبيله، وقطع البراري والبحار لنشره، وغرسه، وتثبيت عقائده في النفوس، وقواعد ملكه في الأرض.

وما انحصر الإسلام إلى هذه الدركة التي تشكوها، ويشكوها أخوك والنفر القليل من العلماء الربانيين – إلاّ يوم أهان علماء الدين أنفسهم، فهانوا على الله، فهانوا على الناس، وأصبحوا صوراً مزورة عن الحقائق، وأصبح الإسلام في نفوسهم وألسنتهم وأحوالهم وأعمالهم صوراً مزورة عن حقائقها أيضاً، ويا شؤمهم على الإسلام.إنتهى

قال الفضيل بن عياض كما رواه الإمام الترمذي[13] : عالم عامل معلّم يدعى كبيرا في ملكوت السموات .

---

[12] – رسالة بعثها الإمام يوم (28 يوليو 1955) جوابا على رسالة العلاّمة أبو الأعلى المودودي بعثها إلى الإمام بعد خروجه من السجن. آثار العلامة محمد البشير الإبراهيمي (5 / 161 – 162)

[13] – نفس المصدر و نفس الكتاب و الباب .

فإذا تحلّى العالم بهذه الصفات كان لزاما على الأمّة توقيره و إحترامه ، قال[14] الإمام إبن القيّم : و فيه أيضا إرشاد و أمر الأمّة بطاعتهم وإحترامهم وتعزيزهم وتوقيرهم وإجلالهم فإنّهم ورثة من هذه بعض حقوقهم على الأمّة وخلفاؤهم فيهم.إنتهى

- شهادة رسول الله صلّى الله عليه و سلّم لأهل العلم بالعدالة : قال صلى الله عليه وسلّم :" يحمل هذا العلم من كلّ خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وإنتحال المبطلين وتأويل الجاهلين "[15]

" فهذا إخبار منه صلى الله عليه وسلّم بصيانة هذا العلم وحفظه وعدالة ناقليه، وأنّ الله يوفّق له في كلّ عصر خلفا من العدول يحمونه وينفون عنه التحريف فلا يضيع"[16]

و لا يعني هذا أنّ غير العدول لا يحملونه ، بل يحملونه إلاّ أنّهم لا يقومون بما هو مطلوب منهم شرعا القيام به من وظائف ربّانية الّتي هي من مقتضيات العلم ، و لهذا قال عليه الصّلاة و السّلام : " ينفون عنه تحريف الغالين و إنتحال المبطلين و تأويل الجاهلين " ، و هذا فيه الصّدع بالحق و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر .

و قد جمع الإمام الآجري أهمّ فضائل أهل العلم العاملين ، فقال[17] : إنّ الله عز وجل , وتقدست أسماؤه, إختص من خلقه من أحب فهداهم للإيمان , ثمّ إختص من سائر المؤمنين من أحب فتفضّل عليهم فعلمهم الكتاب والحكمة , ووفقهم في الدّين ,وعلمهم التأويل , وفضلهم على سائر المؤمنين وذلك في كلّ زمان وأوان , رفعهم بالعلم , وزينهم بالحلم , بهم يعرف الحلال من الحرام ,والحق من الباطل , والضار من النافع , والحسن من القبيح , فضلهم عظيم ,وخطرهم جزيل ورثة الأنبياء , وقرّة عين الأولياء , الحيتان في البحر لهم تستغفر والملائكة بأجنحتها لهم تخضع والعلماء في القيامة بعد الأنبياء تشفع ,مجالستهم تفيد الحكمة , وبأعمالهم ينزجر أهل الغفلة , هم أفضل من العباد وأعلى درجة من الزهاد , حياتهم غنيمة وموتهم مصيبة , يذكرون الغافل , ويعلمون الجاهل ... فهم سراج العباد ومنار البلاد , وقوام الأمّة , وينابيع الحكمة , وهم غيظ الشيطان , بهم تحيا قلوب أهل الزيغ , مثلهم في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدي بها في ظلمات البر والبحر , إذا إنطمست النجوم تحيّروا وإذا أسفر عنها الظلام أبصروا **اهـ.**

---

[14] – مفتاح دار السعادة (1 / 126)

[15] – صححه الحافظ العلائي في بغية الملتمس ، و روى الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث عن مهنأ بن يحي عن أحمد بن حنبل تصحيحه . أنظر تحقيق مشكاة المصابيح للشيخ الألباني (1 / 82 – رقم : 247)

[16] -مقدمة المجموع لإمام النووي

[17] – من كتابه أخلاق العلماء

تنبيه ضروري :

من خلال ما مرّ إتّضح أنّ العالم الّذي حضي بفضائل ربّانية هو الّذي يحمل العلم النّافع المورّث للعمل الصّالح ، الصّادع بالحق الآمر بالمعروف و النّاهي عن المنكر .

قال[18] العلامة بدر الدّين بن جماعة الكناني : و إعلم أنّ جميع ما ذكر من فضيلة العلم و العلماء إنّما هو في حق العلماء العاملين الأبرار المتّقين الّذين قصدوا به وجه الله الكريم و الزلفى لديه في جنّات النعيم لا من طلبه بسوء نيّة ، أو خبث طويّة ، أو لأغراض دنيوية من جاه أو مال أو مكاثرة الأتباع . إنتهى

و منه تعلم أنّه ليس كلّ من تحصّل على العلم و عُرف به صار من الربّانيين ، و لحمه صار من اللحوم المسمومة ، فثمّة ممّن عُرف بالعلم و يجب التحذير منه و من باطله و كم هم كُثر في هذا الزمان .

و لتوضيح ذلك :

باب : ما ورد من أنّ العلماء أقسام

تقسيم العلماء بإعتبار ضبطهم ، أو بإعتبار عدالتهم ، أو بإعتبار صدقهم في حمل رسالة الإسلام ، كلّ ذلك له أصل في كتاب الله تعالى و في سنّة رسول الله عليه الصّلاة و السّلام ، و جرى على هذا التقسيم بإعتبارات مختلفة عمل السّلف ، حتّى قال[19] العلاّمة أبو حامد الغزالي : فمن نظر بعين الإيمان فالّذي أخبره بفضيلة العلم هو الّذي أخبره بذمّ علماء السوء ، و أنّ حالهم أشدّ من حال الجهال . إنتهى

---

[18] – تذكرة السامع و المتكلّم ، ص : 16

[19] – إحياء علوم الدّين (3 / 362)

و لتوضيح ذلك نسلّط الضوء على بعض النّصوص الدّالة على المراد :

أمّا بعض ما جاء في القرآن :

* قال تعالى :(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (159) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)[20]

فهذه الآية الكريمة أوضحت قسما من العلماء و هم الّذين غشّوا الأمّة بكتمهم ما جاء به الرّسل من الدّلالات البيّنة على المقاصد الصحيحة ، و الهدى النافع للقلوب من بعد ما بيّنه الله لعباده من خلال رسله عليهم الصّلاة و السّلام ، فكان هذا الوعد الشديد جزاء بما كسبت أيديهم " أولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللّاعنون " .

قال عبد الرحمن بن ناصر السعدي في تفسيره هذه الآية : هذه الآية وإن كانت نازلة في أهل الكتاب وما كتموا من شأن الرسول صلى الله عليه وسلم وصفاته فإنّ حكمها عام لكلّ من إتصف بكتمان ما أنزل الله ، (من البينات) الدالات على الحق المظهرات له ، (والهدى) وهو العلم الذي تحصل به الهداية إلى الصراط المستقيم ويتبين به طريق أهل النعيم من طريق أهل الجحيم فإنّ الله أخذ الميثاق على أهل العلم بأن يبينوا للناس ما منّ الله به عليهم من علم الكتاب ولا يكتموه فمن نبذ ذلك وجمع بين المفسدتين : كتم ما أنزل الله والغش لعباد الله فأولئك (يلعنهم الله) أي : يبعدهم ويطردهم عن قربه ورحمته ، (ويلعنهم اللاعنون) وهم جميع الخليقة فتقع عليهم اللعنة من جميع الخليقة لسعيهم في غش الخلق وفساد أديانهم وإبعادهم من رحمة الله فجوزوا من جنس عملهم ، كما أنّ معلم الناس الخير يصلي الله عليه وملائكته حتّى الحوت في جوف الماء لسعيه في مصلحة الخلق وإصلاح أديانهم وقربهم من رحمة الله فجوزي من جنس عمله ، فالكاتم لما أنزله الله مضاد لأمر الله مشاق لله يبين الله الآيات للناس ويوضحها وهذا يطمسها ويعميها فهذا عليه هذا الوعيد الشديد ، (إلاّ الذين تابوا) أي : رجعوا عمّا هم عليه من الذنوب ندما وإقلاعا وعزما على عدم المعاودة ، (وأصلحوا) ما فسد من أعمالهم فلا يكفي ترك القبيح حتى يحصل فعل الحسن ، ولا يكفي ذلك في الكاتم أيضا حتى يبين ما كتمه ويبدي ضد ما أخفى فهذا يتوب الله عليه لأنّ توبة الله غير محجوب عنها فمن أتى بسبب التوبة تاب الله عليه لأنّه (التواب الرحيم).إنتهى

* قال تعالى من سورة البقرة : (أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ

[20] – سورة البقرة (الآية : 159 – 160)

قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ (76) أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (77) وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (78) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ)

هذه الآية كشفت صنفا ممّن ينتسب إلى اهل العلم الّذين يحرّفون النصوص الشرعية ، و يغيّرون الثوابت المحكمة من اجل مقاصد خبيثة ، و هذا الحال ليس خاصّا بمن كان قبلنا بل يشمل كلّ من حرّف الحق بقصد خبيث . قال القرطبي : في هذه الآية و الّتي قبلها التحذير من التبديل و التغيير و الزيادة في الشرع ، فكلّ من بدلّ و غيّر أو إبتدع في دين الله ما ليس منه و لا يجوز فيه فهو داخل تحت هذا الوعيد الشديد و العذاب الأليم ، و قد حذّر رسول الله عليه الصّلاة و السّلام أمّته لما قد علم ما يكون في آخر الزمان فقال : " ألا إنّ من قبلكم من أهل الكتاب إفترقوا على ثنتين و سبعين ملّة ، و إنّ هذه الأمّة ستفترق على ثلاث و سبعين فرقة كلّها في النّار إلاّ واحدة " الحديث ، فحذّرهم أن يحدثوا من تلقاء أنفسهم في الدّين خلاف كتاب الله أو سنّته أو سنّة أصحابه فيضلّوا به النّاس ، و قد وقع ما حذّره و شاع ، فإنّ لله و إنّا إليه راجعون . إنتهى

و قال العلامة عبد الرحمن السعدي في تفسيره : قال شيخ الإسلام لما ذكر هذه الآيات ، فإن الله ذمّ الّذين يحرفون الكلم عن مواضعه وهو متناول لمن حمل الكتاب والسنة على ما أصله من البدع الباطلة ، وذمّ الّذين لا يعلمون الكتاب إلاّ أمانيّ وهو متناول لمن ترك تدبر القرآن ولم يعلم إلاّ مجرد تلاوة حروفه ، ومتناول لمن كتب كتابا بيده مخالفا لكتاب الله لينال به دنيا ، وقال : إنّه من عند الله مثل أن يقول : هذا هو الشرع والدّين وهذا معنى الكتاب والسنة وهذا معقول السلف والأئمة وهذا هو أصول الدّين الذي يجب إعتقاده على الأعيان والكفاية ، ومتناول لمن كتم ما عنده من الكتاب والسنة لئلا يحتج به مخالفه في الحق الّذي يقوله ، وهذه الأمور كثيرة جدا في أهل الأهواء جملة كالرافضة وتفصيلا مثل كثير من المنتسبين إلى الفقهاء . إنتهى

* قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ)[21].

و في هذه الآية تحذير من الله جلّ و علا من علماء السوء و عباد الضلال الّذين يأكلون الدنيا بالدّين و مع هذا الأكل الحرام يصدّون النّاس عن إتباع الحق و يلبسون الحق بالباطل و يظهرون لمن إتّبعهم

[21] – سورة التوبة (الآية : 34)

من الجهلة أنّهم يدعون إلى الخير ، و ليسوا كما يزعمون بل هم دعاة إلى النار ، فكان جزاؤهم أنّهم مبشّرون بعذاب أليم[22].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى : هذا تحذير من الله تعالى لعباده المؤمنين عن كثير من الأحبار و الرهبان ، أي : العلماء و العباد الّذين يأكلون أموال الناس بالباطل ، أي بغير حقّ ، و يصدّون عن سبيل الله ، فإنّهم إذا كانت لهم رواتب من أموال الناس ، أو بذل الناس لهم أموالهم ، فإنّه لأجل علمهم و عبادتهم ، و لأجل هداهم و هدايتهم ، و هؤلاء يأخذونها و يصدّون الناس عن سبيل الله ، فيكون أخذهم لها على هذا الوجه سحتا و ظلما ، فإنّ الناس ما بذلوا لهم من أموالهم إلاّ ليدلّوهم إلى الطريق المستقيم ؛ و من أخذهم لأموال الناس بغير حقّ أن يعطوهم ليفتوهم أو يحكموا لهم بغير ما أنزل الله ، فهؤلاء الأحبار و الرهبان ليحذر منهم هاتان الحالتان : أخذهم لأموال الناس بغير حقّ ، و صدّهم الناس عن سبيل الله . إنتهى

* قال تعالى في الآية : 5 ، من سورة الجمعة : (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)[23]

روى إبن جرير بإسناده إلى إبن عباس, قوله: (مَثَلُ الّذِينَ حُمّلُوا التّوْرَاةَ ثُمّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الْحِمارِ يحْمِلُ أسْفارا) والأسفار: الكتب, فجعل الله مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يتّبع ما فيه, كمثل الحمار يحمل كتاب الله الثقيل, لا يدري ما فيه .

قال الإمام إبن كثير في تفسيره لهذه الآية : يقول تعالى ذاما لليهود الّذين أعطوا التوراة و حملوها للعمل بها ثمّ لم يعملوا بها ، مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفارا ، أي كمثل الحمار إذا حمل كتبا لا يدري ما فيها ، فهو يحملها حملا حسيا و لا يدري ما عليه ، و كذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الّذي أوتوه حفظوه لفظا لم يتفهّموه و لا عملوا بمقتضاه ، بل أوّلوه و حرّفوه و بدّلوه ، فهم أسوأ حالا من الحمير ، لأنّ الحمار لا فهم له ، و هؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها ، و لهذا قال تعالى في الآية الأخرى : " أولئك كالأنعام بل هم أضلّ أولئك هم الغافلون " ، و قال تعالى ههنا : " بئس مثل القوم الّذين كذّبوا بآيات الله و الله لا يهدي القوم الظالمين " . إنتهى

أمّا من السنّة منها :

---

[22] – أنظر تفسير القرآن العظيم للإمام إبن كثير على هذه الآية

[23] – سورة الجمعة (الآية : 5)

* عن أبي موسى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا ، فكان منها نقيّة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها النّاس فشربوا و سقوا وزرعوا ، وأصابت منها طائفة أخرى إنّما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به) [24] .

و هذا فيه تصنيف رسول الله عليه الصّلاة و السّلام للعلماء من حيث إنتفاعهم و نفعهم بالعلم .

قال[25] القرطبي وغيره : ضرب النبيّ صلى الله عليه وسلم لما جاء به من الدّين مثلا بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه ، وكذا كان حال الناس قبل مبعثه ، فكما أنّ الغيث يحيي البلد الميت فكذا علوم الدّين تحيي القلب الميت ، ثمّ شبه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث ، فمنهم العالم العامل المعلم ، فهو بمنزلة الأرض الطيبة شربت فانتفعت في نفسها وأنبتت فنفعت غيرها ، ومنهم الجامع للعلم المستغرق أزمانه فيه غير أنّه لم يعمل بنوافله أو لم يتفقه فيما جمع لكنّه أداه لغيره ، فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس به ، وهو المشار إليه بقوله " نضر الله إمرءا سمع مقالتي فأداها كما سمعها " ، ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره ، فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها ، وإنّما جمع في المثل بين الطائفتين الأوليين المحمودتين لإشتراكهما في الإنتفاع بهما ، وأفرد الطائفة الثالثة المذمومة لعدم النفع بها . إنتهى

* عن ابن بريدة، عن أبيه،عن النبيّ صلى اللّه عليه وسلم قال: (القضاة ثلاثةٌ: واحدٌ في الجنّة، واثنان في النار، فأمّا الّذي في الجنّة فرجلٌ عرف الحق فقضى به، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار، ورجلٌ قضى للناس على جهلٍ فهو في النار).[26]

قال[27] الإمام إبن القيّم : قال غير أبي عمر – يقصد إبن عبد البر – : كما أنّ القضاة ثلاثة ، قاضيا في النار و واحد في الجنّة ، فالمفتون ثلاثة و لا فرق بينهما إلاّ في كون القاضي يُلزم بما أفتى به ، و المفتي لا يلزم به .إنتهى

---

[24] – رواه البخاري في صحيحه (رقم : 79)

[25] – بواسطة فتح الباري (1 / 177)

[26] - رواه أبوداود في سننه ، رقم : 3573

[27] – إعلام الموقّعين 134/2

فهذا واضح الدلالة على تصنيف العلماء إلى ثلاثة أصناف ، صنفان في النار ، و صنف واحد في الجنّة ، أمّا الّذي في الجنّة فهو الّذي عرف الحق فإستقام عليه في سلوكه و دعوته ، و أمّا الّذيْن في النار ، فواحد عرف الحق فحاد عنه في سلوكه و دعوته ، و أمّا الآخر فهو الّذي تصدّر للإفتاء على جهل فضلّ و أضلّ .

* عن ثوبان رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه و سلّم قال : (إنّما أخاف على أمّتي الأئمّة المضلّين "[28]

قال[29] العلامة عبد الرحمن آل الشيخ : أتى بإنّما الّتي قد تأتي للحصر بيانا لشدّة خوفه على أمّته من أئمّة الضلال .

و الحديث واضح أنّ رسول الله عليه الصّلاة و السّلام جعل من أصناف العلماء هؤلاء المضلّون ، و من أوصافهم ما رواه مسلم في صحيحه[30] عن حذيفة بن اليمان أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يكون بعدي أئمّة لا يهتدون بهداي ، و لا يستنون بسنتي ، و سيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس)

قال[31] العلاّمة عبد الرحمن آل الشيخ في تعريفه للأئمّة المضلّين : أي الأمراء و العلماء و العباد فيحكمون فيهم بغير علم فيضلّونهم . إنتهى

" قال الله تعالى : (و إنّ كثيرا ليضلّون بأهوائهم بغير علم إنّ ربّك هو أعلم بالمعتدين) ، و قال : (و لقد ضلّ قبلهم أكثر الأوّلين) ،و امثال هذه الآيات كثير ، و عن زياد بن حدير قال : قال لي عمر : هل تعرف ما يهدم الإسلام ؟ قلتُ : يهدمه زلّة العالم ، و جدال المنافق بالكتاب ، و حكم الأئمّة المضلّين . رواه الدارمي "[32] .

* عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلّى الله عليه و سلّم يقول :

27– رواه أحمد في مسنده ، و أبوداود في سننه رقم : 4252 ، و إبن ماجه في سننه رقم : 3952، و الحديث صحيح على شرط مسلم قاله الألباني في الصحيحة (4 / 110 – رقم : 1582)

[29]– فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، ص : 324

[30] – رقم : 52 (1847)

[31] – فتح المجيد (ص : 323)

[32] – قاله العلامة عبد الرحمن آل الشيخ في قرّة عيون الموحّدين ، بواسطة هامش فتح المجيد (ص : 323)

(إنّ الله لا يقبض العلم إنتزاعا ينتزعه من العباد ، و لكن يقبض العلم بقبض العلماء حتّى إذا لم يُبق عالما إتّخذ النّاس رءوسا جهّالا فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضلّوا و أضلّوا).[33]

أوضح عليه الصّلاة و السّلام أنّ إتّخاذ النّاس رءوسا جهالا يكون بعد ذهاب العلماء الربّانيين و ذلك إمّا بوفاتهم أو منعهم من تبليغ دين الله إلى النّاس كما أمرهم الله جلّ و علا ، و هذا المنع أخذ اشكالا متنوّعة في هذا العصر من إعتقال أو إقامة جبرية يُمنع من خلالها من إحتكاكه بالناس أو إحتكاك الناس به ، أو مطاردته حتّى يصير همّه كيف يتوارى عن انظار مطارديه ، أو بسياسة التشويه الّتي جُند لها بعض من لا يتورّع في الكلام بالباطل و البهتان ، كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم : أنظر ما كان حديث رسول الله عليه الصّلاة و السّلام فأكتبه ، فإنّي خفتُ دروس العلم و ذهاب العلماء ، و لا تقبل إلاّ حديث عن النبيّ عليه الصّلاة و السّلام ، و لتفشوا العلم ، و لتجلسوا حتّى يُعلّم من لا يعلم ، فإنّ العلم لا يهلك حتّى يكون سرّا .[34]

فصار في هذا الزمان يُمنع العالم من أن يُحدّث الناس بما امره الله تعالى ، فصار تبليغ العلم سرّا ، و لا حول و لا قوّة إلاّ بالله ، و في مقابل ما يُفعل بالعلماء الربّانيين يظهر ناس لا خلاق لهم يفتون الأمّة بغير ما أنزل الله ليصدّوا عن سبيل الله .

و من خلال هذا الحديث كشف النبيّ عليه الصّلاة و السّلام صنفا من العلماء الّذين يستغلّون فُرص إضطهاد العلماء الربّانيين و ذهابهم ليظهروا أمام الأمّة لمقاصد خبيثة ، حسبنا الله و نعم الوكيل .

أمّا بعض ما جاء عن السلف[35]:

* عن إبن مسعود رضي الله عنه قال : لو أنّ أهل العلم صانوا العلم و وضعوه عند أهله سادوا به أهل زمانهم ، و لكنّهم بذلوه لأهل الدنيا لينالوا من دنياهم فهانوا على أهلها ، سمعت رسول الله صلّى الله عليه و سلّم يقول : (من جعل الهموم همّا واحدا همّ آخرته كفاه الله همّ دنياه ، و من تشعّبت به هموم أحوال الدنيا لم يبال الله في أيّ أوديتها هلك) .

* و قال عبد الله بن المبارك رحِمَه الله : و هل أفسد الدّين إلاّ الملوك و أحبار سوء و رهبانها.

* قيل للأعمش : يا أبا محمد ، قد أحييت العلم بكثرة من يأخذه عنك . فقال : لا تعجبوا فإنّ ثلثا منهم يموتون قبل أن يدركوا ، و ثلثا يلزمون السلطان فهم شرّ من الموتى ، و من الثلث الثالث قليل من يفلح .

---

[33] – رواه البخاري في صحيحه (رقم : **100**)

[34] – رواه البخاري معلّقا ، كتاب العلم ، باب : كيف يُقبض العلم

[35] – هذه الآثار كلّها من كتاب اخلاق العلماء للإمام الآجريّ رحمه الله تعالى

* عن سفيان الثوري قال : يقال تعوّذوا بالله من فتنة العابد الجاهل ، و فتنة العالم الفاجر ، فإنّ فتنتهما فتنة لكلّ مفتون .

* و عن الأوزاعي أنّه قال : كان يقال ويل للمتفقّهين لغير العبادة و المستحلّين الحرمات بالشبهات .

* و عن مكحول الشامي أنّه قال : إنّه لا يأتي على الناس ما يوعدون حتّى يكون عالمهم فيهم أنتن من جيفة حمار

* قال عطاء الخراساني : كان العلماء قبلنا إستغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم , فكانوا لا يلتفتون إلى دنياهم فكان أهل الدنيا يبذلون لهم دنياهم رغبةً في علمهم , فأصبح أهل العلم منّا اليوم يبذلون لأهل الدنيا علمهم رغبة في دنياهم فأصبح أهل الدنيا قد زهدوا في علمهم لمّا رأوا من سوء موضعه عندهم , فإيّاك وأبواب السلاطين فإنّ عند أبوابهم فتنا كمبارك الإبل لا تصيب من دنياهم شيئا إلاّ أصابوا من دينك مثله. إنتهى

و قد صنّف الإمام إبن القيّم حملة العلم الّذين لا يصلحون لحمله إلى أربعة أصناف ، قال عنهم[36] : فهؤلاء الأصناف الأربعة ليسوا من دعاة الدّين و لا من أئمّة العلم و لا من طلبته الصادقين ، و من تعلّق منهم بشيء منه فهو من المتسلّقين عليه ، المتشبّهين بحملته و أهله ، المدّعين لوصاله ، المبتوتين من حباله ، و فتنة هؤلاء فتنة لكلّ مفتون، فإنّ الناس يتشبّهون بهم لِما يظنّون عندهم من العلم .

و هؤلاء الأصناف هم :

- من ليس هو بمأمون عليه ، و هو الّذي أوتي ذكاء و حفظا ، و لكن مع ذلك لم يؤت زكاء ، فهو يتخذ العلم الّذي هو آلة الدّين آلةَ الدنيا ، يستجلبها به ، و يتوسل بالعلم إليها... و هذا غير أمين على ما حمله من العلم ، و لا يجعله الله إماما فيه قط ، فإنّ الأمين هو الّذي لا غرض له و لا إرادة لنفسه إلاّ إتباع الحق و موافقته ، فلا يدعو إلى إقامة رياسته و لا دنياه ، و هذا الّذي قد إتخذ بضاعة الآخرة و متجرها متجرا للدنيا ، قد خان الله ، و خان عباده ، و خان دينه .
- الصنف الثاني : رجل نهمته في نيل لذته ، فهو منقاد لداعي الشهوة أين كان .
- و الثالث : من حرصه و همته جمع المال و تثميرها و إدخارها ، فقد صارت لذته في ذلك ، و فني بها عمّا سواه ، فلا يرى شيئا أطيب ما هو فيه ، فأين هذا و درجة العلم .

---

[36] – مفتاح دار السعادة 1/ 261

- و الرّابع المنقاد الّذي لم يثلج له صدره ، و لم يطمئن به قلبه ، بل هو ضعيف البصيرة فيه ، لكنّه منقاد لأهله ، و هذه حال أتباع الحق من مقلديهم ، و هؤلاء و إن كانوا على سبيل النجاة فليسوا من دعاة الدّين و إنّما هم من مكثري سواد الجيش ، لا من أمرائه و فرسانه .

و العلّة في جعلهم من هذه الأصناف أنّ الشك ينقدح في قلوبهم بأوّل عارض من شبهة و هذا لقلّة بصيرته بخلاف الرّاسخ في العلم فلا تستفزّه الشبهات .

قال[37] العلامة ابن القيم رحمه الله : كلّ من آثر الدنيا من أهل العلم وإستحبها ، فلابد أن يقول على الله غير الحق، في فتواه وحكمه وخبره وإلزامه ، لأنّ أحكام الربّ سبحانه كثيرا ما تأتي على خلاف أغراض الناس ، لاسيما أهل الرياسة ، و الّذين يتبعون الشهوات ، فإنّهم لا تتم لهم أغراضهم إلاّ بمخالفة الحق ودفعه.إنتهى

هذا كلّه يدلّ أنّ العلماء أقسام و ليسوا قسما واحدا فليكن هذا على بال حتّى لا يُعيّرنا بعض المغرضين أنّنا ممّن يقع في العلماء ، فالعالم الربّاني له أوصافه ليس مجرّد أنّه عُرف بالعلم و صار من المشهورين ، كما أنّ العالم الساقط له أوصافه و ليس مجرد تقزيم بعض الناس له ، فليس المعيار في ذلك الشهرة أو التقزيم لا سيما إذا كان مصدر هذه الشهرة أو هذا التقزيم وسائل الإعلام المؤيّدة لكلّ ما هو باطل ، أو أن تكون حجّة هذه الشهرة أو هذا التقزيم هو الجرح و التعديل الّذي لم ينضبط كثير من مدّعيه في هذا العصر بقواعد الجرح و التعديل[38] الّتي ورثتها الأمّة عن سلفها الصّالح ، بل صار الضابط الأكبر في جرح المعاصرين و تعديلهم هو ولاء الحكام من عدمه ، فبقدر ولاء المرء للحاكم كان عدلا عند هؤلاء ، و بقدر براء المرء من الحاكم و فعاله كان مجروحا ، فمن أعظم ما إبتُلِي به كثير من أهل العلم في هذا الزمان هو بذله للحكام حتّى هانوا أنفسهم و قبل ذلك هانوا العلم الّذي يحملوه .

باب : ما ورد في ذمّ الدّخول على الحكام

إنّ المتتبّع لحال بعض العلماء المنحرفين في هذا العصر ليرى أنّ مكمن الداء هو الزلفى إلى الحكام ، بل صار من غريب هذا الزمان أنّ بعض الأدعياء للعلم يحرصون على إرضاء الكفار الّذين إحتلّوا أرضنا و إنتهكوا أعراضنا ، بل جاهروا بمحاربة ديننا و الإستهزاء بنبيّنا عليه الصّلاة و السّلام .

---

[37] – من كتاب الفوائد

[38] – و لله الحمد وفّقني ربّي جلّ و علا أن أجمع رسالة بيّنت فيها هدي السلف في الجرح و التعديل ، و سمّيتها " ضوابط التجريح " يسّر الله طباعتها .

لمّا كانت البليّة هي الدخول إلى الحكام و إرضائهم بالفتوى المعارضة للشريعة ربّنا أحببتُ أن يكون هذا الباب مبيّنا لكلام السلف في حكم الدخول على الحكام مع الإشارة و التأمّل في الفرق بين حكّامهم و حكام هذا الزمان ، و الله المستعان.

ما جاء في القرآن

قال الله تعالى : " فاستقم كما أمرت و من تاب معك و لا تطغوا إنّه بما تعملون بصير ، و لا تركنوا إلى الّذين ظلموا فتمسّكم النّار و ما لكم من دون الله من أولياء ثمّ لا تنصرون " هود (الآية : 112 – 113)

أمر الله جلّ و علا نبيّه عليه الصّلاة و السّلام و عباده المؤمنين على الإستقامة و ذلك بإلتزام شرعه ، و نهى عن الطغيان و البغي و ذلك بمخالفة شرعه ، فالوسطية و الإعتدال حقا هو في طاعة الله و رسوله ، و أنّ التطرّف و الغلوّ حقا هو في مخالفة أمر الله و امر رسوله عليه الصّلاة و السّلام ، ثمّ قال سبحانه : " و لا تركنوا إلى الّذين ظلموا " قال إبن عباس أي لا تداهنوا الّذين ظلموا ، ففي الآية نهي عن مداهنة الظلمة و الميل إليهم ، فإنّ مداهنتهم و الميل إليهم هو الرضا بأفعالهم ، و أيّ ظلم أعظم من تعطيل شرع الله و تحكيم القوانين الجائرة ، أيّ ظلم بعد مناصرة الأعداء على المسلمين بحجة مكافحة الإرهاب و الله ما أرادوا إلاّ محاربة الإسلام ، أيّ ظلم بعد إستباحة ما حرّم الله بحجّة الحريّات ، أيّ ظلم بعد تحريم و تجريم ما أوجبه الله من الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر بحجّة محاربة التطرّف ؟! ومن مال إليهم أي من مال إلى الظلمة إستحق العقوبة من الله جلّ و علا و لا يجد من دون الله أولياء يمنعونه العذاب و لا ناصر يخلّصهم من العقاب .

و في الآية أوضح الله جلّ و علا الحكيم الخبير العليم أنّ طريق الإستقامة يتعارض مع أسلوب الركون إلى الظلمة ، فكيف بقوم بحجّة الإستقامة ركنوا بل دافعوا على الظلمة و على سياسات الظلمة بحجّة الإعتدال ، بل هو التطرّف عن الحقّ ، و تعدّي لحدود الله .

و لقد ترجم سلفنا الصّالح هذه الآية الكريمة في حياتهم ، حيث أبى أبا حنيفة أن يتولّى القضاء حتّى قام إبن هبيرة أمير العراق في عهد بني اميّة بتعذيبه ، كما تعرّض رحمه الله تعالى للتعذيب في عهد أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي الثاني ، أبى أن يتولّى القضاء لأنّه بقبوله لهذا المنصب يضفي الشرعية على سلطتهم ، و قد ظلّ أبو حنفية في السجن حتّى مات سنة 150 هج

و كذلك حال سفيان الثوري أبى أن يتولّى القضاء ، فتوارى عن حكام عصره ، حتّى مات مستخفيا في البصرة.

و كذلك الحال بالنسبة لمالك بن أنس رحمه الله أبى أن يتولّى القضاء حتّى سجن و عذب سنة 148 هج ، و كان يقول[39] : ضُربت فيما ضُرب فيه سعيد بن المسيب ، ومحمد بن المنكدر ، و ربيعة ، و لا خير فيمن لا يؤذى في هذا الأمر . إنتهى

بعض ما ورد في السنّة :

- أخرج أبو داود، والترمذي وحسّنه، والنسائي، والبيهقي في « شعب الإيمان »، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال:(من سكن البادية جفا، ومن إتبع الصيد غفل، ومن أتى أبواب السلاطين إفتتن).
- وأخرج أبو داود، والبيهقي، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: « من بدا فقد جفا، ومن إتبع الصيد غفل، ومن أتى أبواب السلاطين إفتتن، وما إزداد عبد من السلطان دنوا (و في رواية عند أحمد و البيهقي : و ما إزداد أحد من السلطان قربا)إلاّ إزداد من الله بعدا).
- وأخرج الترمذي وصححه، والنسائي، والحاكم وصححه، عن كعب بن عجرة و رواه أحمد و البزار و إبن حبان في صحيحه من طريق جابر بن عبد الله قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم: « سيكون بعدي أمراء، فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس منّي، ولست منه، وليس بوارد عليّ الحوض، ومن لم يدخل عليهم، ولم يعنهم على ظلمهم، ولم يصدقهم بكذبهم، فهو منّي، وأنا منه، وهو وارد عليّ الحوض ».
- وأخرج ابن أبي شيبة، والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

« إنّها ستكون أمراء تعرفون، وتنكرون فمن ناوأهم نجا، ومن إعتزلهم سلم، أو كاد، ومن خالطهم هلك ».

بعض ما ورد من كلام السلف :

و أمّا ما جاء عن السلف في ذلك فأكثر من أن تحصى أقوالهم من ذلك[40] :

- أخرج البيهقي، عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: « إنّ على أبواب السلطان فتناً كمبارك الإبل، لا تصيبون من دنياهم شيئاً إلاّ أصابوا من دينكم مثله ».

---

[39] – تاريخ الذهبي (9 / 331)

[40] – للإمام السيوطي رسالة جمع فيها جملة من أقوال السلف ، و منها سأستفيد .عنوانها : ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين

- وأخرج البخاري في تاريخه وابن سعد في « الطبقات » عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: « يدخل الرجل على السلطان ومعه دينه، فيخرج وما معه شيء ».
- وأخرج البيهقي، عن وهب بن منبه، أنّه قال لعطاء: « إيّاك وأبواب السلطان! فإنّ على أبواب السلطان فتناً كمبارك الإبل، لا تصيب من دنياهم شيئاً إلاّ أصابوا من دينك مثله ».
- وأخرج ابن أبي شيبة، عن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه قال: « ألا! لا يمشين رجل منكم شبراً إلى ذي سلطان ».
- و روى ابن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم و فضله ، عن حذيفة بن اليمان قال : إيّاكم و مواقف الفتن .

قيل : و ما مواقف الفتن ؟ قال : أبواب الأمراء.

قال السيوطي : ذهب جمهور العلماء من السلف، وصلحاء الخلف إلى أنّ هذه الأحاديث والآثار جارية على إطلاقها سواء دعوه إلى المجيء إليهم أم لا، وسواء دعوه لمصلحة دينية أم لغيرها.

- قال سفيان الثوري: « إن دعوك لتقرأ عليهم: قل هو الله أحد، فلا تأتهم » رواه البيهقي .
- وروى أبو نعيم في الحلية عن ميمون بن مهران: أنّ عبد الله بن عبد الملك بن مروان قدم المدينة، فبعث حاجبه إلى سعيد بن المسيب فقال له: أجب أمير المؤمنين! قال: وما حاجته؟ قال: لتتحدث معه. فقال: لست من حداثه. فرجع الحاجب إليه فأخبره، قال: دعه.
- وروى الخطيب، عن حماد بن سلمة: أنّ بعض الخلفاء أرسل إليه رسولا يقول له: إنّه قد عرضت مسألة، فأتنا نسألك. فقال للرسول: قل له: « إنّا أدركنا أقواما لا يأتونا أحدا لِما بلغهم من الحديث ، فإن كانت لك مسألة فاكتبها في رقعة نكتب لك جوابها ».
- وروى غنجار في تاريخه عن ابن منير: أنّ سلطان بخارا، بعث إلى محمد بن إسماعيل البخاري يقول: إحمل إليّ كتاب « الجامع » و « التاريخ » لأسمع منك. فقال البخاري لرسوله: « قل له أنا لا أذل العلم، ولا آتي أبواب السلاطين فإن كانت لك حاجة إلى شيء منه، فلتحضرني في مسجدي أو في داري ».
- روى الزجاجي في أماليه: أنّ الحسن البصري مرّ بباب عمر بن هبيرة وعليه القراء فسلّم، ثمّ قال: « ما لكم جلوسا قد أحفيتم شواربكم وحلقتم رؤوسكم، وقصرتم أكمامكم، وفلطحتم نعالكم! أما والله! لو زهدتم فيما عندهم، لرغبوا فيما عندكم، ولكنّكم رغبتم فيما عندهم، فزهدوا فيما عندكم، فضحتم القراء فضحكم الله».
- وقال الخطيب البغدادي: عن مالك بن أنس رحمه الله، قال: « أدركت بضعة عشر رجلا من التابعين يقولون لا تأتوهم، ولا تأمروهم، يعني السلطان ».

- و روى ابن باكويه الشيرازي في « أخبار الصوفية » عن سفيان الثوري يقول: « إنّ فجار القراء إتخذوا سلّماً إلى الدنيا فقالوا: ندخل على الأمراء نفرج عن مكروب ونكلّم في محبوس ».

أقول : تأمّل إلى الذريعة الّتي إتّخذها هؤلاء القراء – و لفظة القراء تطلق على العلماء – للدخول على الحكام ، و تأمّل وصف الإمام لهم ، فما بالكم بعلماء ما دخلوا على الحكام إلاّ ليزيّنوا لهم سوء أعمالهم.

- وأخرج ابن عساكر، عن عبد الجبار بن عبد العزيز أبي حازم عن أبيه، عن جده: أنّ سليمان بن عبد الملك دخل المدينة، فأقام بها ثلاثا. فقال: «ههنا رجل ممن أدرك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويحدثنا؟ فقيل له: بلى ههنا رجل يقال له أبو حازم . فبعث إليه، فجاءه، فقال له سليمان: يا أبا حازم! ما هذا الجفاء أتاني وجوه المدينة كلّهم ولم تأتني؟! قال أبو حازم: إنّ الناس لمّا كانوا على الصواب، كانت الأمراء تحتاج إلى العلماء، وكانت العلماء تفر بدينها من الأمراء، فلمّا رأى ذلك قوم من أذلة الناس تعلموا العلم وأتوا به إلى الأمراء فإستغنت به عن العلماء، وإجتمع القوم على المعصية فسقطوا أو تعسوا أو تنسكوا ولو كان علماؤنا هؤلاء يصونون علمهم، لم تزل الأمراء تهابهم ».

أقول : و بهذا نعلم أنّ من أسباب فساد الحكام في هذا الزمان و فساد الناس راجع أساسا إلى فساد كثير من العلماء . و الله المستعان .

- وأخرج ابن عساكر، من طريق ابن وهب، عن عبد الرحمن بن يزيد، قال: حدثنا أبو حازم أنّ سليمان بن هشام بن عبد الملك قدم المدينة فأرسل إلى أبي حازم فدخل عليه فقال: « فسلمت وأنا متكئ على عصاي فقيل ألا تتكلم!؟ قلت: وما أتكلم به!؟ ليست لي حاجة فأتكلم فيها، وإنّما جئت لحاجتكم التي أرسلتم إليّ فيها، وما كلّ من يرسل إليّ آتيه، ولولا الخوف من شرّكم ما جئتكم. إنّي أدركت أهل الدنيا تبعا لأهل العلم حيث كانوا، يقضي أهل العلم لأهل الدنيا حوائج دنياهم وأخراهم، ولا يستغني أهل الدنيا عن أهل العلم لنصيبهم من العلم ثمّ حال الزمان، فصار أهل العلم تبعا لأهل الدنيا حيث كانوا، فدخل البلاء على الفريقين جميعا. ترك أهل الدنيا النصيب الذي كانوا يتمسكون به من العلم حيث رأوا أهل العلم قد جاؤوهم، وضيّع أهل العلم جسيم ما قسم لهم بإتباعهم أهل الدنيا ».

أقول : آه ، لو رأى زماننا و ما صنعه بعض العلماء بهذا العلم .

- وأخرج أبو نعيم، وابن عساكر، عن يوسف بن أسباط قال: أخبرنا نجم: أنّ بعض الأمراء أرسل إلى أبي حازم فأتاه، وعنده الإفريقي، والزهري وغيرهما فقال له: تكلم يا أبا حازم ، فقال أبو حازم: « إنّ خير الأمراء من أحب العلماء، وأنّ شر العلماء من أحب الأمراء. وكانوا فيما مضى إذا بعث الأمراء إلى العلماء لم يأتوهم، وإذا سألوهم لم يرخصوا لهم وكان الأمراء يأتون العلماء في بيوتهم فيسألونهم، وكان في ذلك صلاح للأمراء وصلاح للعلماء. فلمّا رأى ذلك ناس من الناس، قالوا: ما لنا لا نطلب

العلم حتّى نكون مثل هؤلاء! وطلبوا العلم فأتوا الأمراء فحدّثوهم فرخصوا لهم فخربت العلماء على الأمراء، وخربت الأمراء على العلماء».

أقول : في الأزمنة المتأخرة لمّا رأى الناس شرف العلم و أهله طلبوا العلم للمكسب فضيّعوه ، أمّا في هذا الزمان فالحكام هم الّذين يبذلون الأموال من أجل أن يتحصل من يرضون عنه العلم فيكون خدما لهم و لسياستهم .

- وأخرج الخطيب وابن عساكر، عن مقاتل بن صالح الخراساني قال: دخلت على حماد بن سلمة، فبينا أنا عنده جالس، إذ دق داق الباب فقال: « يا صبية أخرجي فانظري من هذا! فقالت: هذا رسول محمد بن سليمان الهاشمي – وهو أمير البصرة والكوفة – قال: قولي له يدخل وحده، فدخل وسلم فناوله كتابه، فقال: إقرأه فإذا فيه: « بسم الله الرحمن الرحيم من سليمان إلى حماد بن سلمة. أمّا بعد: فصبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته. وقعت مسألة فأتينا نسألك عنها » فقال: « يا صبية هلمّي الدواة! » ثمّ قال لي: « إقلب الكتاب وأكتب: أمّا بعد فقد صبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته، إنا أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحدا، فإن وقعت مسألة فأتنا فاسألنا عمّا بدا لك! وإن أتيتني، فلا تأتني إلاّ وحدك، ولا تأتني بخيلك ورجلك، فلا أنصحك ولا أنصح نفسي، والسلام » فبينما أنا عنده، إذ دق داق الباب فقال: « يا صبية أخرجي فانظري من هذا! » قالت: « هذا محمد بن سليمان، قال: « قولي له يدخل وحده » فدخل، فسلّم ثم جلس بين يديه، ثمّ إبتدأ، فقال: ما لي إذا نظرت إليك إمتلأت رعبا ؟!. فقال حماد: « سمعت ثابت البناني يقول: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

« إنّ العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كلّ شيء، وإذا أراد به أن يكثر به الكنوز، هاب من كلّ شيء » وذكر بقية القصة.

أقول : و من هنا تعرف سرّ ذلّ الّذي نراه من بعض أدعياء العلم ، و في المقابل العزّة و الشموخ الّتي نراها سمة في وجوه بعض العلماء العاملين .

قال[41] الإمام أبو حامد الغزالي: « فإن قلت: فلقد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين فأقول: نعم ، لكن تعلم الدخول منهم، ثمّ أدخل عليهم! فقد حكي: أنّ هشام بن عبد الملك، قدم حاجا إلى مكة فلمّا دخلها قال: إئتوني برجل من الصحابة » ،فقيل: يا أمير المؤمنين! فقد تفانوا قال: من التابعين. فأتي بطاوس اليماني فلمّا دخل عليه، خلع نعليه بحاشية البساط، ولم يسلّم بإمرة المؤمنين، ولكن قال: « السلام عليك يا هشام! » ولم يكنه وجلس بإزائه وقال: « كيف أنت يا هشام! » فغضب هشام غضبا شديدا حتى همّ بقتله ، وقال له: « ما حملك على ما صنعت؟! ». قال: « وما الذي صنعت؟! » فإزداد

---

[41]– إحياء علوم الدّين، باب في مخالطة السلاطين .

غضبا وغيظا، فقال: « خلعت نعلك بحاشية بساطي، وما قبلت يدي، ولم تسلم عليّ بإمرة المؤمنين، ولم تكنني وجلست بإزاي بغير إذن، وقلت: « كيف أنت يا هشام؟ » . فقال: أمّا قولك: « خلعت نعلي، بحاشية بساطك، فأنا أخلعها بين يدي ربّ العالمين كلّ يوم خمس مرات ولا يعاقبني ولا يغضب عليّ. وأمّا قولك: « لم تقبل يدي فإنّي سمعت علي بن أبي طالب قال:« لا يحل لرجل أن يقبل يد أحد، إلاّ امرأته بشهوة أو ولده برحمة ». وأمّا قولك: لم تسلم بإمرة المؤمنين، فليس كلّ الناس راض بإمرتك، فكرهت أن أكذب. وأمّا قولك: لم تكنني فإنّ الله تعالى سمّى أولياءه وقال: يا داود، يا يحيى، يا عيسى ، وكنّى أعداءه فقال:(تَبَّت يَداَ أَبي لَهَبٍ) وأمّا قولك: جلست بإزائي فإنّي سمعت علي بن أبي طالب يقول: « إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار، أنظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام » فقال هشام: عظني؟.

وعن سفيان الثوري قال: « دخلت على أبي جعفر بمنى، فقال لي: إرفع حاجتك؟ فقلت له:« إتق الله! فإنّك قد ملأت الأرض جورا وظلما ». قال: فطأطأ رأسه، ثمّ رفع وقال: إرفع لنا حاجتك؟ فقلت: « إنّما أنزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والأنصار، وأبناؤهم يموتون جوعا، فإتق الله وأوصل إليهم حقوقهم ». قال: فطأطأ رأسه ثمّ رفع وقال: إرفع إلينا حاجتك؟ قلت: « حج عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لخازنه: كم أنفقت؟ قال: بضعة عشر درهما، وأرى هاهنا أمورا لا تطيق الجمال حملها ».

فهكذا كانوا يدخلون على السلاطين إذا أكرهوا فكانوا يفرون بأرواحهم في الله أعني علماء الآخرة، فأمّا علماء الدنيا فيدخلون ليتقربوا إلى قلوبهم، فيدلونهم على الرخص، ويستنبطون بدقائق الحيل السعة فيما يوافق أغراضهم . انتهى كلام الغزالي ملخصا.

و من أجل ما آل إليه أمر من دخل على الحكام قال وهب: « هؤلاء الّذين يدخلون على الملوك، لهم أضر على الأمّة من المقامرين ».

وقال محمد بن مسلمة: « الذباب على العذرة، أحسن من قارئ على باب هؤلاء»

ولما خالط الزهري السلطان كتب له أحد العلماء : « عافانا الله وإيّاك يا أبا بكر من الفتن، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن يعرفك أن يدعو لك ويرحمك، أصبحت شيخا كبيرا وقد أثقلتك نعم الله لما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيّه صلى الله عليه وسلم، وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء. واعلم أنّ أيسر ما إرتكبت، وأخف ما إحتملت، أنّك أنست وحشة الظالم، وسهلت سبيل الغي، بدنوك ممن لم يؤد حقا، ولم يترك باطلا حين أدناك، إتخذك قطبا تدور عليك رحايا ظلمهم، وجسرا يعبرون عليك إلى بلائهم وسلما يصعدون فيه إلى ضلالتهم، يدخلون بك الشك على العلماء ويغتالون بك قلوب الجهال، فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما أخربوا عليك، وما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك من دينك فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله فيهم: (فَخَلَفَ مِن بَعدِهِم خَلفٌ أَضاعوا الصلاة وَاتَبَعوا الشَهَوَاتِ) ،

وإنّك تعامل من لا يجهل، ويحفظ عليك من لا يغفل، فداو دينك فقد دخله سقم ، وهيئ زادك فقد حضره سفر بعيد، وما يخفى على الله شيء في الأرض ولا في السماء والسلام ».

أقول : فماذا نقول عن علماء صار من منهجهم الدفاع عن الحكام و عن تحكيمهم شريعة الصلبان ، و تعطيلهم لشريعة الرحمن ، و معاونتهم لغزاة أراضي الإسلام ؟! حسبنا الله و نعم الوكيل .

وأخرج أبو نعيم في « الحلية » عن أحمد بن جميل المروزي قال: قيل لعبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى أنّ إسماعيل بن علية قد ولي الصدقات فكتب إليه ابن المبارك:

يا جاعِلَ العِلمِ لَهُ بازِياً	*	**يَصطادُ أَموالَ المَساكينِ**
اِحتَلتَ الدُنيا وَلَذّاتَها	*	**بِحيلَةٍ تَذهَبُ بِالدينِ**
فَصِرتَ مَجنوناً بِها بَعدَما	*	**كُنتَ دَواءً لِلمَجانينِ**
أَينَ رِوايَتُكَ في سَردِها	*	**تَرِكِ أَبوابِ السَلاطينِ**
أَينَ رِوايَتُكَ فيما مَضى	*	**عَنِ اِبنِ عَونٍ وَاِبنِ سيرينِ**
إِن قُلت أُكرِهتُ فَذا باطِلٌ	*	**زَلَّ عَمّارُ العِلمِ في الطينِ**

قال: فلما قرأ الكتاب بكى وإستعفى.

أقول : فكيف بعلماء هذا الزمان الّذين دخلوا على الحكام المعطّلين لشريعة الله ، الموالين لأعداء الله على أولياء الله ، الجبابرة الّذين ضيّعوا شعوبهم و أقهروهم ، ففي مثل هؤلاء الحكام سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك في برية: هل يسقى شربة ماء؟ فقال: « لا، دعه يموت فإنّ ذلك إعانة له ».

فكيف بمن أعان الظالم على المسلمين و المجاهدين .

وقال الجمال اللغوي في كتاب « المعجب » : أخبرني بعض الفضلاء: أنّ الأمير عز الدين حرسك بعث إلى الشيخ الشاطبي يدعوه للحضور عنده .

فأمر الشيخ بعض أصحابه أن يكتب إليه هذه الأبيات وهي قوله:

قُل لِلأَميرِ مَقالَةً	*	**مِن ناصِحٍ فَطِنٍ نَبيهِ**
إِنَّ الفَقيهَ إِذا أَتى	*	**أَبوابَكُم لا خَيرَ فيهِ**

وقال ابن الحاج في « المدخل »: « ينبغي للعالم، بل يتعيّن عليه أن لا يتردد لأحد من أبناء الدنيا، لأنّ العالم ينبغي أن يكون الناس على بابه، لا عكس الحال أن يكون هو على بابهم ، ولا حجة له في كونه يخاف من عدو أو حاسد وما أشبههما بمن يخشى أن يشوش عليه، أو يرجو أحد منهم دفع شيء مما

يخشاه أو يرجو أن يكون ذلك شيئا لقضاء حوائج المسلمين من جلب مصلحة لهم أو دفع مضرة عنهم فهذا ليس فيه عذر ينفعه. أمّا الأوّل: فلأنّه إذا أخذ ذلك بإشراف نفس لم يبارك فيه. وإذا كان خائفا ممّا ذكر، فذلك أعظم من إشراف النفس، وقد يسلط عليه من يتردد إليه في مصلحة عقوبة له معجلة. وأمّا الثاني: فهو يرتكب أمرا محظورا محققا لأجل محذور مظنون توقعه في المستقبل. وقد يكون، وقد لا يكون وهو مطلوب في الوقت بعدم إرتكاب ذلك الفعل المذموم شرعا، بل الإعانة على قضاء حوائجه وحوائج المسلمين إنّما هو بالإنقطاع عن أبواب هؤلاء، والتعويل على الله سبحانه والرجوع إليه فإنّه سبحانه هو القاضي للحوائج، والدافع للمخاوف، والمسخر لقلوب الخلق، والمقبل بها على ما شاء، كيف شاء. قال تعالى خطابا لسيد الخلق: (لَو أَنفَقتَ ما في الأَرضِ جَميعاً مّا أَلَّفتَ بَينَ قُلوبِهِم وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَينَهُم) . فذكر سبحانه هذا في معرض الإمتنان على نبيّه صلى الله عليه وسلم. والعالم إذا كان متبعا له عليه أفضل الصلاة والسلام سيما في التعويل على ربّه سبحانه والسكون إليه دون مخلوقاته فإنّه سبحانه يعامله بهذه المعاملة اللطيفة الّتي عامل نبيّه صلى الله عليه وسلم، ولبركة الإتباع له صلى الله عليه ويسلم بذلك من التردد إلى أبواب هؤلاء كالذي يفعله بعض الناس، وهو سم قاتل. ويا ليتهم لو إقتصروا على ما ذكر لا غير، بل يضمون إلى ذلك ما هو أشد وأشنع، وهو أنّهم يقولون أنّ ترددهم إلى أبوابهم من باب التواضع، أو من باب إرشادهم إلى الخير إلى غير ذلك ممّا يخطر لهم، وهو كثير قد عمّت به البلوى، وإذا إعتقدوا ذلك فقد قلّ الرجاء من توبتهم ورجوعهم، وقد نقل بعض علمائنا أنّ العدل إذا تردد إلى باب القاضي يكون ذلك حرجة في حقه وترد به شهادته. فإذا كان هذا في التردد إلى باب القاضي وهو عالم من علماء المسلمين ، سالم مجلسه ممّا يجري من مجالس هؤلاء، فكيف التردد إلى غير القاضي، فمن باب أولى وأوجب المنع من ذلك ». إنتهى

قال سحنون : إذا أتى الرجل مجلس القاضي ثلاثة أيّام بلا حاجة فينبغي أن لا تقبل شهادته .

أقول : هذا لمّا كانت شريعة الله هي المطبّقة ، و القاضي معدود من العلماء ، أمّا في هذا الزمان فلا صلة للقاضي بشريعة الإسلام ، فضلا أن يكون من علماء الإسلام.

و خلاصة الحكم في الدخول على الحكام ، ثمّة إختيارين الأوّل المنع إلاّ بعذر و هو إختيار أبو حامد الغزالي فقال: فلا يجوز الدخول عليهم– أي الحكام – إلاّ بعذرين :

أحدهما: أن يكون من جهتهم أمر إلزام، لا إكرام، وعلم أنّه لو إمتنع أوذي.

(قال إبن عون: كان الرجل يفر بما عنده من الأمراء جهده ، فإذا أخذ لم يجد بُدّا)

والثاني: أن يدخل عليهم في دفع الظلم عن مسلم، فذلك رخصة بشرط أن لا يكذب، ولا يدع نصيحة يتوقع لها قبولا.

و أمّا الإختيار الثاني فصّلوا بين الحاكم العادل و الحاكم الظالم ، أمّا الظالم فلا يجوز الدخول عليه إلاّ إذا أُخذ أو إستدعي على وجه الإلزام و علم أنّه لو إمتنع أوذي . و أمّا الحاكم العادل فقال[42] إبن عبد البرّ : و إذا حضر العالم عند السلطان غبّا فيما فيه حاجة و قال خيرا و نطق بعلم كان حسنا و كان في ذلك رضوان الله إلى يوم يلقاه ،

و لكنّها مجالس الفتنة فيها أغلب و السلامة منها ترك ما فيها .إنتهى

و قوله غبّا أي أحيانا .

فبعد هذا السرد أنظروا حال كثير من أهل العلم مع حكام هذا الزمان ، منهم من صار همّه هو الزلفى إلى الحكام و الفرح بالقرب منه ، ومنهم من صار حرصه هو الدّفاع عن الحكام و عن سياستهم ، و الله المستعان ، و في مقابل هذا التّصرف منهم تُجاه الحكام الّذين إجتمع فيهم كلّ بلاء ، تجد هؤلاء المنتسبون إلى العلم أنفسهم متشدّدون مع مخالفيهم من العلماء بحجّة أنّهم يمثّلون هم الإسلام الوسط و يمثّلون الإعتدال ، في حين أنّ المخالفين لهم متشدّدون و متطرّفون و هم بذلك خطر على الإسلام و إنتشاره هكذا يزعمون و يدلّسون و يكذبون .

حسبنا الله و نعم الوكيل .

باب : أصناف العلماء

نستطيع أن نصنّف علماء هذا الزمان إلى ثلاثة أصناف : عالم أمّة ، عالم دولة ، و عالم ملّة .

خذ هذا التفصيل بعين الإعتبار وإبتعد من الإطلاق والإجمال بأنّ لحوم العلماء مسمومة ، قال إبن القيّم :

فعليك بالتفصيل والتمييز فالإ	*	طلاق و الإجمال دون بيان
قد أفسد هذا الوجود	*	أذهان و الآراء كلّ زمان
وخبطا ال		

فصل : الصنف الأول:

عالم أمَّة

[42] – جامع بيان العلم و فضله 227/1

عالم أمّة : هو العالم التّابع لآراء الجماهير, العامل لمرضاتهم المجتهد في تحقيق رغباتهم , ليس له همّ إلاّ تكثير الأتباع

و الطلاب ، مفتون بالكثرة الّتي حوله فهو يجتهد أن لا يعصي لهم أمرا كلّ ذلك على حساب الشرع.

فيا مصيبتاه لمّا يصير العالم او الدّاعية تبعا لإملاءات الجماهير أو طائفة أو فئة أو جماعة أو حزب ، في عوض ان يكون تبعا للدليل الشرعي .

يا مصيبتاه لمّا يصير حرص العالم او الدّاعية عدم إغضاب من حوله ، و الثمن ان يسير وفق أهوائهم في عوض ان يسيروا هم وفق دليله .

يا مصيبتاه لمّا يصير همّ العالم أو الدّاعية تكثير السواد حوله على حساب الشرع .

يا مصيبتاه لمّا يصير العالم أو الدّاعية موجّهَ (بفتح الجيم) من طرف أتباعه في عوض أن يكون هو الموجّه (بكسر الجيم)

يا مصيبتاه أن يكون حرص العالم او الداعية إشتراء الألقاب ، فلا يُقال عنه متشدد أو متطرّف ، وحتّى يُلقب بأنواع من الألقاب البرّاقة كالمتفتّح ، المعتدل ، صاحب المنهج الوسط ، و الثمن هو تحريف النصوص أو التمسّك بالشاذ من الأقوال حتّى يرضى عنه الناس بحجة التيسير و رفع الحرج ، متغافلا أو متجاهلا أنّ شريعة ربّنا ميسّرة لمن صدق أن يتمسّك بأوامرها ، مرفوعة عنها الحرج بإتباع معالمها ، فهي شريعة الرحمن الرحيم ، فالمشقة كلّ المشقّة ، و الحرج كلّ الحرج، في مخالفة شريعة الله تعالى .

يا مصيبتاه لمّا يصير حرص العالم أو الدّاعية أن يُلقّب بالجريء أو الشجاع ، فلا يُقال عنه مثبّط أو مميّع ، و ذلك لمّا يُجاري بعض الجماعات في بعض أخطائها الشنيعة ، متغافلا أنّ الشجاعة كلّ الشجاعة في التّمسك بشرع الله تعالى

و الصّدع به و الصّبر على الأذى فيه .

يا مصيبتاه لمّا يصير دور العالم أو الدّاعية إيجاد مبرّرات لبعض أخطاء بعض الجماعات ، في عِوض أن يكون موجّها مرشدا و ناصحا لها .

و إنّ كثيرا من هذا الصنف يتبعون الشاذ من الأقوال و الزلل الّتي وقع فيها بعض أهل العلم ليلفّقوا منهجا و مسلكا يزعمون أنّهم متّبعون للعلماء و انّهم قد سُبقوا إلى أقوال قد إختاروها لموافقتها لأهوائهم ، ولا أظن يخفى على أحد لا سيما من الدعاة و المشايخ حكم السلف على أصحاب مثل هذا المنهج ، المنهج التلفيقي .

قال الأوزاعي : من أخذ بنوادر العلماء خرج من الإسلام.

وقال إسماعيل بن إسحاق القاضي : دخلت على المعتضد فدفع إليّ كتابا نظرت فيه وكان قد جمع له الرخص من زلل العلماء وما إحتج به كلّ منهم لنفسه ، فقلت له : يا أمير المؤمنين مصنف هذا الكتاب زنديق . فقال : ألم تصح هذه الأحاديث ؟ قلت : بلى، ولكن من أباح المسكر لم يبح المتعة ، ومن أباح

المتعة لم يبح الغناء والمسكر، وما من عالم إلاّ وله زلة ومن جمع زلل العلماء ثمّ أخذ بها ذهب دينه. فأمر المعتضد فأحرق ذلك الكتاب .

و على هذا قال[43] الإمام إبن القيّم : لا يجوز للمفتي أن يعمل بما شاء من الأقوال والوجوه من غير نظر في الترجيح ولايَعْتَد به، بل يكتفي في العمل بمجرد كون ذلك قولا قاله إمام أو وجها ذهب إليه جماعة فيعمل بما يشاء من الوجوه والأقوال حيث رأى القول وَفْقَ إرادته وغرضه عمل به، فإرادته وغرضه هو المعيار وبها الترجيح، وهذا حرام باتفاق الأمة ...و بالجملة فلا يجوز العمل و الإفتاء في دين الله بالتشهّي و التخيّر و موافقة الغرض ، فيطلب القول الّذي يوافق غرضه و غرض من يُحابيه فيعمل به ، و يفتي به ، و يحكم به ، و يحكم على عدوّه و يفتيه بضدّه ، و هذا من أفسق الفسوق و أكبر الكبائر ، و الله المستعان . إنتهى

وليعلم كلّ عالم وكلّ طالب علم أنّ أسمى الأماني هو نيل مرضات الله تعالى ولو في سخط النّاس, فإذا رضي الله على إنسان أرضى عنه الناس,وإذا أحبّ الله عبده أمر أهل السماء أن يحبّوه وعلى رأسهم جبريل عليه السلام ، ثمّ يجعل له القبول في الأرض .

أمّا مَن عمل من أجل إرضاء النّاس فالمآل هو سخطهم عليه, إذ إرضاء الناس غاية لا تدرك أبدا كما قدّر الله تعالى.

روى إبن حبان[44] عن عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله صلّى الله عليه و سلّم قال : " من إلتمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه و أرضى عنه الناس ، و من إلتمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه و أسخط عليه الناس "

كثيرة هي الفتاوى و الآراء من بعض المتصدرين منطلقها هو تحقيق رغبات الناس, وعملهم يشبه إلى حدّ بعيد حِصص: **(ما يطلبه المشاهد)** .

أحلّوا بهذه الفتاوى المضلّلة الغناء ، و مصافحة الرجل المرأة و العكس ، و مخالطة المرأة الرجال و العكس ، و المعاملات الربوية ، و نزع المرأة حجابها ، و حلق الرجل لحيته (و هذه الفتاوى جاءت لتوافق أهواء العوام) ، و مشروعية قتل من هو معصوم الدّم من المسلمين قصدا بحجج واهية كحجة مجهول الحال كما حصل في فترة من الفترات ، و مشروعية الإنخراط في جيش الكفار الغزاة كالجيش الأمريكي (و هذا النوع من الفتوى جاءت لتبرر و توجد مخارج لإنحرافات بعض الجماعات ، و الدول) ....

هل يعدّ هذا الصنف من العلماء الّذين مد حهم الله تعالى ؟

أم هو من الصنف الّذي يأكل بعلمه ؟

---

[43] – إعلام الموقعين (4 / 162)

[44] – (رقم : 1542 – موارد الظمآن)

روى الآجري في كتابه أخلاق العلماء عن مالك بن دينار أنّه قال : إنّكم في زمن أشهب , لا يبصر زمانكم إلاّ البصير , إنّكم في زمان نفخّاتهم قد إنتفخت ألسنتهم في أفواههم وطلبوا الدّنيا بعمل الآخرة فاحذروهم على أنفسكم لا يوقعوكم في شبكاتهم . يا عالم تأكل بعلمك, يا عالم أنت عالم تفخر بعلمك, يا عالم أنت عالم تكاثر بعلمك يا عالم أنت عالم تستطيل بعلمك, لو كان هذا العلم طلبته لله لرُئي ذلك فيك وفي عملك.

قال[45] العلامة ابن القيم رحمه الله : كلّ من آثر الدنيا من أهل العلم وإستحبها ، فلابد أن يقول على الله غير الحق، في فتواه وحكمه وخبره وإلزامه ، لأنّ أحكام الربّ سبحانه كثيرا ما تأتي على خلاف أغراض الناس ، لاسيما أهل الرياسة ، و الذين يتبعون الشهوات ، فإنّهم لا تتم لهم أغراضهم إلاّ بمخالفة الحق ودفعه.إنتهى

فنذكّرهم بما قاله[46] الإمام إبن القيّم : قد حرم الله سبحانه القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء وجعله من أعظم المحرمات بل جعله في المرتبة العليا منها، فقال تعالى: {قل إنّما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون}، فرتب المحرمات أربع مراتب وبدأ بأسهلها وهو الفواحش، ثمّ ثنى بما هو أشد تحريماً منه وهو الإثم والظلم، ثمّ ثلث بما هو أعظم تحريماً منهما وهو الشرك به سبحانه، ثمّ ربع بما هو أشد من ذلك كلّه وهو القول عليه بلا علم، وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه، وقال تعالى: {ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إنّ الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * متاع قليل ولهم عذاب أليم}. فتقدم إليهم سبحانه بالوعيد على الكذب عليه في أحكامه وقولهم لما لم يحرمه هذا حرام ولما لم يحله هذا حلال، وهذا بيان منه سبحانه أنّه لا يجوز للعبد أن يقول هذا حلال وهذا حرام إلاّ بما علم أنّ الله سبحانه أحله وحرمه، وقال بعض السلف: ليتق أحدكم أن يقول: أحل الله كذا وحرم كذا فيقول الله له: كذبت لم أحل كذا ولم أحرم كذا. إنتهى

أقول : ببركة هؤلاء ضاع الحق بين العوام ، و تجرأ الكلّ على الفتوى ، لكن نبشّرهم بأنّ الله حافظ دينه ، و الحق سيظهر

و يعلو، و يومها يعرف الناس تدليس هذا الصنف من العلماء و كذبهم ، فإتّقوا الله و استحيوا منه و أخشوه ، فهو الخافض الرافع ، يعزّ من يشاء و يذلّ من يشاء ، بيده الخير و هو على كلّ شيء قدير .

شبهة و الردّ عليها :

---

[45] – من كتاب الفوائد

[46] – إعلام الموقعين عن ربّ العالمين (1 / 31)

قد يقول قائل مدافعا عن هذا الصنف من الدعاة و من العلماء أنّ دعوة هؤلاء لها أثر إيجابيّ خاصّة في الغرب .

و الجواب : أنّ الإيجابية و السلبية في مثل هذا المقام مردّه إلى شريعة الرحمن لا إلى أهواء النّاس ، فنقول هذا أمر إيجابي إذا كان موافقا للكتاب و السنّة ، و نقول هذا أمر سلبي إذا كان مخالفا للكتاب و السنّة ، فالمردّ و المعيار هو الكتاب و السنّة فهما الحكم و هما الميزان ، فما لم يشهد له الكتاب و السنّة بالإيجابية ، بل شهد له بالسلبية فهو سلبي و لو إجتمع الإنس و الجنّ على إيجابيته ، و العكس .

و كذا الحال بالنسبة لمسألة الوسطية و الإعتدال ، فإنّ الوسطية و الإعتدال هو في تمسّك بشرع الله تعالى ، فليست الوسطية و الإعتدال في مخالفة شرع الله من أجل إرضاء دولة أو حاكم و فئة ، و التطرّف و الغلوّ هو في مخالفة شرع الله ، و ليس في مخالفة سياسات الأمم و أهواء الحكام ، هذا مقتضى إيماننا بالله ربّا و بمحمد رسولا

و بالإسلام دينا ، قال الله جلّ و علا :" و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، و من يعص الله و رسوله فقد ضلّ ضلالا مبينا " الأحزاب (36) .

فتأمّل إلى حكم الله تعالى و هو أنّه من خالف حكم الله و رسوله فقد ضلّ ضلالا ظاهرا بيّنا ، هذا معيار ربّنا الحكم العدل .

ثمّ أقول ليحص الواحد منكم الفتاوى الّتي صدرت ممّن صار يُلقّب بدعاة العصر أو دعاة الشهرة ثمّ ليعرضها على الكتاب و السنّة و على فهم سلف الصّالح من هذه الأمّة لير العجب ، و لم أرد في هذا البحث أن أورد أسماء و لا الفتاوى المنحرفة و إلاّ لكان الكتاب أكبر من حجمه الحالي بحوالي الضعف ، و لكن إن شاء الله تكفي مريد الحق الإشارة .

فصل : الصنف الثاني:

عالم دولة

عالم دولة : هو العالم التّابع لأوامر الحكّام. العامل لترسيخ كراسيّهم وسيطرتهم على الشعوب المسلمة, المجتهد في تحقيق رغباتهم وتصويب سياساتهم مهما كانت, وهؤلاء منهم العلماء الرسميون كما أنّ هناك علماء غير رسميين.

نجد هؤلاء يدندنون كثيرا حول وجوب طاعة ولاة الأمور, وعدم الخروج عليهم مستدلين بأقوال السلف, وفي صنيعهم هذا تدليس وتلبيس على الأمّة.

علماء السلف الّذين رغّبوا في طاعة الولاة في المعروف, ورهّبوا من الخروج عليهم , ماهي أوصاف هؤلاء الولاّة ,

و بماذا كانوا يحكمون ؟

أمّا حكام زماننا فمذهبهم المشترك هو فصل الدّين عن الدولة أي تعطيل شرع الله والحكم بالقوانين الإلحادية الكافرة

و فرضها على الأمّة ، و تحليل ما حرّم الله ، و تحريم ما أحلّ الله ، ومظاهرة الكفّار على المسلمين، وزج أهل الحق في السجون ، وتقديم أهل المجون في المناصب و.....

هل السلف بأقوالهم كانوا يعنون أمثال هؤلاء الحكام ؟ مالكم كيف تحكمون ؟ أم أنّكم تتجاهلون ؟

وإن ممّا زاد الطين بلّة فتاوى ومواقف هذا الصنف من العلماء بخصوص المحن التي تعيشها الأمّة في هذا الزمان، هذا الزمان الذي قال فيه إمام الكفر والكافرين أنّه ثمّة معسكرين لا ثالث لهما(إمّا معنا أو علينا) فإختار حكام المسلمين صف إمام الكفر ودافع هذا الصنف من العلماء على هذا الإختيار .

ثمّ ألم يعرف هذا الصنف من العلماء من أقوال السلف إلاّ ما يدندنون حوله من طاعة ولاة الأمر؟ ، ألم يمروا أثناء دراستهم ما قاله السلف إذا تحلّى الحاكم بناقض من نواقض الإسلام ؟! .

و من بركة الدفاع عن الحكّام و سياساتهم تحريف النصوص من أجل تزيين و تصويب قراراتهم و سياساتهم أمام الرّعية ، السياسة القائمة على قوانين مستوردة علمانية ، سياسة قائمة على رعاية مصالح الأجانب الكافرين على حساب الشعوب المسلمة ، سياسة قائمة على مناصرة الكفار المعتدين على المسلمين الآمنين .

و كلّما قام عالم أو داعية صادعا بالحق في وجه هؤلاء الحكام المعتدين " عارضه عشرات ، أو مئات من الرؤساء في الدّين الّذي يزعم العامّة أنّهم علماء ، فردّوا يده في فيه ، و بالغوا في تضليله و الطّعن فيه ، و أفتوا بوجوب قتله ، أو حبسه ، أو هجرانه ، و شمّروا للإضرار به و بأهله و إخوانه ، و ساعدهم ثلاثة من العلماء ، عالم غالٍ ، و عالم مفتون بالدّنيا ، و عالم قاصر في معرفة السنّة ، و إن كان مبحّرا في غيرها ؛ فإذا سمع بذلك من بقي من أفراد العلماء الصّادقين كان نصرهم لأخيهم أن يُحرقوه باللّوم و التعنيف قائلين : قد كان يسعك ما وسع غيرك من السكوت "[47]

و الله ما جئتم بقال الله أو	*	قال الرسول و نحن في الميدان
إلاّ بجعجعة و فرقعة و غم	*	غمة و قعقعة بكلّ لسان
و يحق ذاك منكم و أنتم أهله	*	أنتم بحاصلكم أولو عرفان
و بحقكم تحموا مناصبكم و أن	*	تحموا مآكلكم بكلّ سنان

[47] – صدع الدّجنة في فصل البدعة عن السنّة للعلاّمة المعلّمي ، ص : 10

و بحقّنا نحمي الهدى و نذبّ	*	سنن الرسول و مقتضى القرآن
عن	*	قامت على العدوان و الطغيان
قبّح الله مناصبا و مآكلا	*	قال الرسول كفعل ذي الإيمان
و الله لو جئتم بقال الله أو	*	كشاويش لذي سلطان
كنّا لكم شاويش تعظيم و إجلال	*	و أردتم التعظيم بالبهتان
لكن هجرتم ذا و جئتم بدعة		

أقسام هذا الصنف من العلماء : وهذا الصنف من علماء الدّولة نوعان :

- **الأوّل** : من هؤلاء العلماء من يتذرّع على سلوكه هذا النهج بأنّ فيه مصلحة الراجحة ، و تحت ذريعة الخشية من الفتن و من البلبلة و من تهييج العامّة أحجموا عن قول كلمة الحقّ فيما لا يجوز السكوت عليه من أصول العقيدة ، كمسألة الولاء و البراء ، و مظاهرة الكفار و نصرتهم على المسلمين ، و التحاكم إلى القوانين الوضعية ، بل تطوّر ببعضهم الأمر فلم يكتفوا بالسكوت ، بل لجأوا إلى النصوص فحرّفوا مدلولها و إفتروا على الله الكذب في كثير من المسائل ، و لا حول و لا قوّة إلاّ بالله . هذا التوسّع في التذرّع بالمصلحة ، ماهو ضابطها ؟ ، لا سيما و أنّ الّذي عطّل شريعة الله يتذرّع هو الآخر بالمصلحة.

قال تعالى : [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً (60) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً (61) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً (62) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً].

فتأمّل، قالوا : (إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً) ، هل قُبل منهم ذلك ، أبدا بدليل وصف الله لهم ، أوّلا قال : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا ...) ، و ثانيا قال : (رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ).

و في مثل هذا قال تعالى واصفا المنافقين الّذين يظهرون الإيمان و يبطنون غيره : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11) أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ)

قال العلاّمة عبد الرحمن السعدي في تفسير هذه الآية الكريمة : أي : إذا نهي هؤلاء المنافقون عن الإفساد في الأرض وهو العمل بالكفر والمعاصي ومنه إظهار سرائر المؤمنين لعدوّهم وموالاتهم للكافرين (قالوا إنّما نحن مصلحون) فجمعوا بين العمل بالفساد في الأرض وإظهارهم أنّه ليس بإفساد بل هو إصلاح ، قلبا للحقائق وجمعا بين فعل الباطل وإعتقاده حقا وهذا أعظم جناية ممن يعمل بالمعصية مع إعتقاد أنّها معصية فهذا أقرب للسلامة وأرجى لرجوعه . ولمّا كان في قولهم : (إنّما نحن مصلحون)

حصر للإصلاح في جانبهم وفي ضمنه أنّ المؤمنين ليسوا من أهل الإصلاح قلب الله عليهم دعواهم بقوله (ألا إنّهم هم المفسدون) فإنّه لا أعظم فسادا ممن كفر بآيات الله وصدّ عن سبيل الله وخادع الله وأولياءه ووالى المحاربين لله ورسوله وزعم مع ذلك أنّ هذا إصلاح فهل بعد هذا الفساد فساد ؟ ! ! ولكن لا يعلمون علما ينفعهم وإن كانوا قد علموا بذلك علما تقوم به عليهم حجة الله . إنتهى .

هذه المصلحة الّتي باتت صنما يُعبد من دون الله ، فمن أراد أن يُعطّل حكما من احكام الله تذرّع بالمصلحة ، و من أراد أن يُشرّع قانونا مخالفا للشرع تذرّع بالمصلحة ، و من أراد أن يُحرّم ما احلّ الله ، و يحلّ ما حرّم الله تذرّع بالمصلحة ، من أراد أن ينتهك أعراض المسلمين و ينهب ثرواتهم تذرّع بالمصلحة ، من أراد سجن العلماء

و الدعاة الربّانيين تذرّع بالمصلحة .

المصلحة كما يعرف سادة العلماء من المنظور الأصولي ليست كلّها معتبرة شرعا ، حيث نجد علماءنا قسّموا المصلحة إلى أقسام ثلاثة :

– قسم معتبر : و هو ما نصّت الأدلّة الشرعية على إعتباره .

– قسم ملغاة : و هو ما قام الدليل على عدم إعتباره ، فما شهد الشرع بردّه فلا سبيل إلى قبوله .

– قسم لم يشهد لها من الشرع دليل جزئي يدلّ على إعتبارها أو إلغائها بعينها أو نوعها ، و إنّما تدخل ضمن نصّ كليّ عام ، و هو ما يُطلق عليه العلماء بالمصلحة المرسلة ، و هذا النوع من المصالح إختلف العلماء في الإحتجاج به ، و من إحتجّ به فبشروط قيّد تصرّفه به و لم يجعل الأخذ بهذا القسم مرسلا ، و من أهمّ هذه الشروط : أن تكون المصلحة مصلحة ملائمة لمقصد الشرع ، و غير ذلك من الشروط يجدها طالب الحق في مظانّها ، و المقصود أنّنا لم نجد من العلماء المعتبرين هذا التوسّع في الأخذ بالمصلحة كيفما كان إلاّ من هذا الصنف من العلماء ، و لا حول و لا قوّة إلاّ بالله .

ثمّ أليس العلماء ورثة الأنبياء ؟ نعم ! هم كذلك و من الأمور الّتي ورثوها من الأنبياء و خاتمهم محمد صلّى الله عليه و سلّم ما قاله الله تعالى آمرا نبيّه عليه الصّلاة و السّلام : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (48) وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ)

فيجب على العلماء أن يجعلوا التحاكم إلى الشرع فوق كلّ إعتبار ، قال الإمام ابن القيم في كتابه "إعلام الموقعين": وإذ كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا ينكر فضله ولا يجهل قدره وهو من أعلى المراتب السنيات فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسموات، فحقيق بمن أقيم في هذا

المنصب أن يعد له عدته وأن يتأهب له أهبته وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصدع به فإن الله ناصره وهاديه، كيف وهو المنصب الذي تولاه بنفسه رب الأرباب، فقال تعالى: {ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب}، وكفى بما تولاه الله بنفسه شرفاً وجلالة إذ يقول في كتابه: {يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة}، وليعلم المفتي من ينوب في فتواه وليوقن أنه مسئول غداً وموقوف بين يدي الله) اهـ

أُذكر هؤلاء بقوله الله تعالى : (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتُبيِّننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم) ، و قال : (يأهل الكتاب لِمَ تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ومتى ترك العالم ما علمه من كتاب الله وسنة رسوله وإتبع حكم الحاكم المخالف لحكم الله ورسوله كان مرتداً يستحق العقوبة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: (آلمص * كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين * إتبعوا ما أنزل إليكم من ربّكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون) اهـ.

شبهات و الردّ عليها :

الشبهة الأولى : أنّ ضمن هذا الصنف من العلماء من هو من كبار العلماء ، و ليس من الهدي الصحيح هدر كلّ جهود العالم بما قد يقع منه من زلّة .

الجواب :

أوّلا : كونُ الرّجل من كبار العلماء لا يجعله هذا الوصف معصوما عن الخطأ و بالتالي لا يجعله فوق النقد و فوق النّصح ، فكلّ رادّ و مردود عليه إلاّ المعصوم محمد بن عبد الله عليه الصّلاة و السّلام " فما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يُوحى " ، و قد امر الله تعالى نبيّه محمد صلّى الله عليه و سلّم بأن يقول : " و قل ربّ زدني علما " ، و هذا نبيّ الله موسى عليه الصّلاة و السّلام لمّا ظنّ أنّه أعلم أهل الأرض في زمانه إبتلاه الله سبحانه و تعالى بالخضر عليه السّلام و القصّة قصّها الله في كتابه ، و قصّها نبيّنا محمد صلّى الله عليه و سلّم كما رواها البخاري في صحيحه في كتاب العلم .

ثانيا : نعم قد تكون هذه زلاّت من هؤلاء العلماء ، لكن ليس كلّ زلّة نغظ الطرف عنها و عن أصحابها لاسيما إذا كثرت هذه الزلاّت ، أو تسببت في قتل المسلمين المعتدى عليهم ، أو تسببت في تشويه الجهاد و المجاهدين ، أو تسببت في نصرة أعداء الدّين على المسلمين ، أو تسببت في تحسين القوانين الوضعية ، أو غضت الطرف عن تعطيل شريعة ربّ البريّة ، أو ... ،أو ...

روى الدارمي عن زياد بن حدير قال : قال لي عمر رضي الله عنه : هل تعرف ما يهدم الإسلام . قلت : لا .

قال: يهدمه زلة العالم ، و جدال المنافق بالكتاب ، و حكم الأئمة المضلّين .إنتهى

قال[48] الإمام الشاطبي مبيّنا خطورة زلاّت العلماء : فإنّ زلّة العالم في علمه و عمله إذا لم تتعد لغيره في حكم زلّة غير العالم فلم يزد فيها على غيره ، فإن تعدّت إلى غيره إختلف حكمها ، و ما ذلك إلاّ لكونها جزئية إذا إختصت به و لم تتعدّ إلى غيره ، فإن تعدّت إلى غيره صارت كلّية بسبب الإقتداء و الإتباع على ذلك الفعل أو على مقتضى القول ، فصارت عند الإتباع عظيمة جدّا و لم تكن كذلك على فرض إختصاصها به ، و يجري مجراه كلّ من عمل عملا فإقتدي به إن صالحا فصالح ، و إن طالحا فطالح ، و فيه جاء من سنّ سنّة حسنة أو سيئة ، و إنّ نفسا لا تقتل ظلما إلاّ كان على إبن آدم الأوّل كفل منها ، لأنّه أوّل من سنّ القتل ، و قد عدّت سيئة العالم كبيرة لهذا السبب و إن كانت في نفسها صغيرة . إنتهى

قال أبو عمر إبن عبد البرّ : و تشبه زلّة العالم بإنكسار السفينة ، لأنّها إذا غرقت غرق معها خلق كثير .إنتهى

و في كلام الشاطبي و إبن عبد البرّ بيان في مكمن خطورة زلّة العالم و أنّها ليس في كونها خطأ و لكن فيما يترتب عليها من عمل الأتباع و المقلدين من بعده ، و كفى بهذا محرّضاً على النكير على من صار إليها ، أو تترّس بها في تحليل ما حرّم الله.

ثالثا : لم نجعل هذه الزّلات في رتبة واحدة ، و بالتالي لم نجعل أصحابها في رتبة واحدة ، فمن كانت زلّته مثلا في تحليل بعض أنواع الخمور ، ليس كمن كانت زلّته في إستباحة أراضي المسلمين لصالح الكافرين ، أبدا ليس من الإنصاف و لا من الهدي الصحيح التسوية بين هاتين الزلّتين ، و بالتالي بين القائلين بهاتين الزلّتين .

و قد بيّن الشاطبي عموما طريقة المعاملة مع هذه الزلاّت و أصحابها ، فقال[49] : لابد من النظر في أمور تبنى على هذا الأصل

منها : أنّ زلة العالم لا يصح إعتمادها من جهة ، و لا الأخذ بها تقليداً له ، و ذلك لأنّها موضوعة على المخالفة للشرع ، و لذلك عُدَّت زلةً ، و إلاّ فلو كانت معتداً بها لم يُجعل لها هذه الرتبة ، و لا نُسِب إلى صاحبها الزلل فيها، كما أنّه لا ينبغي أن يُنسب صاحبها إلى التقصير ، و لا أن يُشنَّعَ عليه بها ، و لا يُنتَقَصَ من أجلها ، أو يعتقد فيه الإقدام على المخالفة بحتاً ، فإن هذا كلّه خلاف ما تقضي رتبته في الدّين ...

و منها : أنّه لا يصح إعتمادها خلافاً في المسائل الشرعية ، لأنّها لم تصدر في الحقيقة عن إجتهاد ، و لا هي من مسائل الإجتهاد ، و إن حصل من صاحبها إجتهاد فهو لم يصادف فيه محلاً ، فصارت

---

[48] – الموافقات 91/1/1

[49] – نفس المصدر 170/4

في نسبتها إلى الشرع كأقوال غير المجتهد و إنّما يُعد في الخلاف الأقوال الصادرة عن أدلّة معتبرة في الشريعة ،كانت ممّا يقوى أو يضعف ، و أمّا إذا صدرت عن مجرد خفاء الدليل أو عدم مصادفته فلا ، فلذلك لا يصح أن يعتد بها في الخلاف ، كما لم يعتد السلف الصالح بالخلاف في مسألة ربا الفضل ، و المتعة ، و محاشي النساء ، و أشباهها من المسائل التي خفيت فيها الأدلة على من خالف فيها .إنتهى

رابعا : قرّر الشاطبي رحمه الله : أنّ مسائل الزلل لا يعتدّ بها ، فكيف ببعض الرويبضة أخذوا هذه الزلات

و نشروها ، بل و فسرّوا الأدلّة الشرعية على مقتضاها ، و إتّهموا كلّ من خالفها ؟

قال[50] الإمام الذهبي رحمه الله : من يتتبّع رُخَص المذاهِب ، و زلاّت المجتهدين فقد رقَّ دِينه .

أناشد العلماء أن يقفوا في صف المجاهدين, لا أن يحموا ظهور الكافرين المحاربين بفتاوى غريبة شاذة.

بل أناشدهم بأن يقفوا في الثغر الّذي أمرهم الله به ، حيث أمرهم بجهاد المنافقين و الغلظة عليهم مع كونهم بين أظهر المسلمين في المقام و المسير ، فقال سبحانه :

(يا أيّها النبيّ جاهد الكفّار و المنافقين و أغلظ عليهم و مأواهم جهنّم و بئس المصير) .

(فالجهاد بالعلم و الحجّة جهاد أنبيائه و رسله و خاصّته من عباده المخصوصين بالهداية و التوفيق ، و من مات و لم يغزو و لم يحدّث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق ، و كفى بالعبد عمى و خذلانا أن يرى عساكر الإيمان و جنود السنّة و القرآن و قد لبسوا الحرب لأمّته ، و أعدّوا له عدّته ، و أخذوا مصافّهم ، و وقفوا مواقفهم ، و قد حمي الوطيس و دارت رحى الحرب و إشتدّ القتال ، و تنادت الأقران النزال النزال)[51]

و هو في الأبراج و القصور .

ما عرفنا من كثير منكم في هذه المرحلة العصيبة إلاّ الشّجب والإنكار عن طريق البيانات المكتوبة أو الطّاولات المستديرة عبر الشاشات والإذاعات ضدّ إخواننا المجاهدين ، و في المقابل سكوت مطبق عمّا يجري للمسلمين على أيدي الغزاة

و الطواغيت ، أهكذا يكون العالم ؟!

ماذا نسمّي فتوى صدرت من البعض تتحدّث عن حقّ أمريكا في معاقبة أفغانستان على ما حصل لهم في 11 / 9 / 2001 ، لماذا لم يتحدّثوا عمّا جرى و ما يجري للمسلمين من وراء أمريكا ، لماذا ما قالوا كلمة حقّ أنّ من حقّ المجاهدين أن يعتدوا على من إعتدى عليهم بمثل ما إعتدى عليهم ؟!.

---

[50] – سير أعلام النبلاء : 8 / 81

[51] – مقدّمة النونية للإمام إبن القيّم 1/8– 9

أين هذا الشجب والإنكار عمّا يحصل في سجون المحارب سواء في سجن أبو غريب أو سجن غوان تناموا و غيرها من السجون ؟!.

أين هذا الشجب والإنكار عمّا يحصل لإخواننا المسلمين في العراق ؟! .

أين هذا الشجب و الإنكار عمّا يحصل في فلسطين عموما و في غزّة خصوصا ؟!.

أين هذا الشجب و الإنكار عمّا يحصل في أفغانستان و الصومال و غيرها؟! .

أين هذا الشجب والإنكار عمّا تفعله الحكومات من تعطيل الشرع ، و الظلم الممارس ضد العلماء و الدعاة المطالبين بتحكيم شريعة الله تعالى ؟! .

أقول لهذا النوع من هذا الصنف من العلماء إن كانوا صادقين مع ربّهم ، ما قاله عبد الرحمن بن محمد بن حجر الحسني الجزائري

يا معشر العلماء إنّ سكوتكم	من حجة الجهال كلّ زمان
يا معشر العلماء هبوا هبة	قد طال نومكم إلى ذا الآن
يا معشر العلماء قوموا قومة	لله تعلي كلمة الإيمان
يا معشر العلماء عزمة صادق	متجرد لله غير جبان

الشبهة الثانية :

قالوا إنّ جلّ هؤلاء العلماء هم ضمن هيئات شرعية ، و بالتالي الفتوى الّتي تصدر هي فتوى جماعية و ليست فردية ، فكيف يكون الحق مع الأفراد أقرب و من الجماعة أبعد ؟.

الجواب :

أوّلا : إنّ الحق لا يُعرف إلاّ إذا وافقه الدليل ، فكلّ كلام و كلّ فتوى جاء الدليل يُعارضها فهو كلام و فتوى مردودة أيّ كان قائلها .

ثانيا : إذا حصل الخلاف في مسألة شرعية فالمردّ إلى الكتاب و السنّة هكذا أمر الله جلّ و علا ، فلو كان ثمّة شيئا غير الكتاب و السنة يحسم الخلاف لأمر الله به و ما كان ربّك نسيّا ، قال سبحانه :" فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله و رسوله إن كنتم تؤمنون بالله و اليوم الآخر ذلك خير و أحسن تأويلا " .

و تأمّل إلى قوله : " في شيء " فهو نكرة في سياق الشرط تفيد العموم ، أي فإن تنازعتم في أيّ شيء فردّوه إلى الله و رسوله أي إلى كتابه و سنّة رسوله عليه الصّلاة و السّلام .

و تأمّل إلى قوله : " ذلك خير و أحسن تأويلا " .

فلم يجعل ربّنا معيار معرفة الحق من الباطل عند الخلاف ما عليه الأكثر و الجمهور ، بل المعيار هو موافقة الدليل

ثالثا : كون هؤلاء العلماء مجتمعون تحت أيّ مظلّة لا تجعلهم معصومين عن الخطأ و الزلل لا سيما إذا عرفنا نقطتين : – أنّ هذه الهيئات و المجامع لم تضمّ كلّ علماء العصر .

– و أنّ هذه الهيئات هي متنوّعة و ليست مجتمعة في هيئة واحدة ، و قد تختلف فيما بينها .

قال[52] الإمام إبن القيّم : إنّ أقوال العلماء و آراءهم لا تنضبط و لا تنحصر ، و لم تضمن لها العصمة إلاّ إذا إتّفقوا و لم يختلفوا ، فلا يكون إتّفاقهم إلاّ حقّا ، و من المحال أن يُحيلنا الله و رسوله على ما لا ينضبط و لا ينحصر ، و لم يضمن لنا عصمته من الخطأ ، و لم يقل لنا دليلا على أنّ أحد القائلين أولى بأن نأخذ قوله كلّه من الآخر ، بل يترك قول هذا كلّه و يؤخذ قول هذا كلّه ، هذا محال أن يشرّعه الله أو يرضى به إلاّ إذا كان أحد القائلين رسولا ، و الآخر كاذبا على الله . إنتهى

فصار المعيار لمعرفة الحق من الباطل ، و الصواب من الخطأ ، و الهدى من الضلال هو الكتاب و السنّة ، و تأمل إلى ما قاله[53] العلاّمة عبد الرحمن المعلّمي و هو يتحدّث عن عمل أهل المدينة ، وما أدراك ما عمل أهل المدينة : و أمّا عمل أهل جهة من الجهات فلم يسلّم الأئمّة لمالك إحتجاجه بعمل أهل المدينة ، مع أنّها معدن الإسلام ، و أهلها حينئذ الصّحابة و التابعون و كثير منهم أئمّة مجتهدون ، و كانوا من العلم و المعرفة و الحرص على إتّباع السنّة و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر في أعلى الطبقات ، فما بالك بعمل أهل جهة أخرى بعد أن عزّ العلم الصحيح و كثر علماء السوء و إنتشر دعاة البدع ، و فُقد الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، و صار من بقي من العلماء شعارهم : عليك بخويصة نفسك ، و دع عنك أمر العامّة . إنتهى

رابعا : لم يكلّفنا الله سبحانه عند السؤال أن نرجع إلاّ لأهل الذكر و هم أهل القرآن و السنة ، فكلّ من كان من أهل الذكر كان أهلا للسؤال سواء وُجد ضمن هيئة أم لم يوجد ،قال سبحانه : " فسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون "

قال[54] الإمام إبن القيّم : فإنّ الله سبحانه أمر بسؤال أهل الذكر ، و الذكر هو القرآن و الحديث الّذي امر الله نساء نبيّه عليه الصّلاة و السّلام أن يذكرنه بقوله : " و أذكرن ما يُتلى في بيوتكن من ءايات الله و الحكمة " ، فهذا هو الذكر الّذي أمرنا الله بإتباعه ، و أمر من لا علم عنده أن يسأل أهله ، و هذا هو الواجب على كلّ أحد أن يسأل أهل العلم بالذكر الّذي أنزله على رسوله ليُخبره به ، فإذا أخبره

---

[52] – إعلام الموقعين (2 / 162)

[53] – رسالة في تحقيق البدعة ، ص : 33

[54] – إعلام الموقعين (2 / 164)

به لم يسعه غير إتّباعه ، و هذا كان شأن أئمّة أهل العلم لم يكن لهم مقلد معيّن يتّبعونه في كلّ ما قال ، و لم يكن أحد من أهل العلم قط يسأل عن رأي رجل بعينه و مذهبه فيأخذ به وحده و يخالف ما سواه . إنتهى

الشبهة الثالثة :

أنّ هؤلاء علماء و من حقّ العالم أن يجتهد ، و لا إنكار في مسائل الإجتهاد ، و تصنيفكم العلماء إلى هذه الأصناف تكونوا قد حصرتم الخلاف في نوع واحد و هو خلاف التضاد.

الجواب :

لم نحصر الخلاف في نوع واحد ، فالّذي حصر الخلاف في خلاف التضاد هم كثير ممّن يُنسب إلى أهل العلم حيث نبزوا كلّ من خالفهم بأنواع من الألقاب الّتي ما أنزل الله بها من سلطان و لا ثبتت عن سلف الصّالح كلقب التكفيري ، مع أنّ المسائل الّتي من أجلها ينبزون مخالفيهم بمثل اللقب الآنف الذكر هي من المسائل المتّفق عليها بين علماء الأنام كمسألة القوانين الوضعية فكلّ العلماء المعتبرين إتّفقوا أنّها كفر بواح إلاّ من زلّ في هذه المسألة ، و مع ذلك يُنبز من ذهب إلى هذا المذهب بأنّه تكفيري[55] ، فمن الّذي حصر الخلاف في نوع واحد و ضاق صدره من الرّأي المخالف ؟! ، و حتّى نجلّي المسألة أكثر .

ما يجب معرفته أنّ أحكام الشريعة قسمان : الأوّل ثوابت الشريعة ، قال[56] الشيخ صلاح الصاوي : هي القطعيات و مواضع الإجماع الّتي أقام الله بها الحجّة بيّنة في كتابه أو على لسان رسوله صلّى الله عليه و سلّم ، و لا مجال فيها للتطوير أو الإجتهاد ، و لا يحلّ الخلاف فيها لمن علمها ، بالإضافة إلى بعض الإختيارات العلمية الراجحة الّتي تمثل مخالفتها نوعا من الشذوذ أو الزلل . إنتهى

الثانية : متغيّرات الشريعة قال الشيخ الصاوي : هي موارد الإجتهاد ، و كلّ ما لم يقم عليه دليل قاطع من نصّ صحيح أو إجماع صريح .إنتهى

فما كان من ثوابتها لا يجوز الإجتهاد فيها فضلا عن تحريفها أو تبديلها أو حذفها فهذا لا يصدر من عالم راسخ في العلم بل من صاحب هوى و غرض فاسد ، و إن حصل شيء من ذلك للعالم الرّاسخ فتكون على سبيل الفلتة

---

[55] – لله الحمد و المنّة حيث وفّقني أن أضع رسالة طرحتُ فيها اهمّ المسائل الّتي على أساسها ظهر التنابز بهذا اللقب ، و هي بعنوان : ماذا تقصدون بالمنهج التكفيري .

[56] – كتاب الثوابت و المتغيّرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر.

و الزلّة ، أمّا أن يصير هذا منهجا له و مسلكا فهذا مبتدع منحرف .

قال[57] الإمام الشاطبي : أنّ الرسوخ في العلم يأبى العالم أن يخالفه ، لأنّ ما صار كالوصف الثابت لا يتصرّف صاحبه إلاّ على وفقه إعتيادا ، فإن تخلّف فعلى ثلاثة أوجه : الأوّل : مجرّد عناد ، قال تعالى : " ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردّونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعدما تبيّن لهم الحق " و أشباه ذلك و الغالب على هذا الوجه أن لا يقع إلاّ لغلبة الهوى من حب دنيا أو جاه أو غير ذلك بحيث يكون وصف الهوى قد غمر القلب حتّى لا يعرف معروفا و لا ينكر منكرا .

الثاني : الفلتات الناشئة عن الغفلات الّتي لا ينجو منها البشر ، فقد يصير العالم بدخول الغفلة غير عالم (أقول :

و هذا لا يلزم التشهير بهذا العالم أو إبعاد الناس عنه و إسقاطه ، فهذا يرجع إلى المنهج العام لهذا العالم ، و كذلك الموازنة بين المسائل الّتي أصاب فيها الحق و بين المسائل الّتي زلّ فيها .

قال[58] الإمام النووي رحمه الله تعالى : إنّ ضبط الراوي يعرف بأن تكون روايته غالبا كما روى الثقات لا تخالفهم إلاّ نادرا فإن كانت مخالفته نادرة لم يُخِل ذلك بضبطه بل يحتج به لأنّ ذلك لا يمكن الإحتراز منه، وإن كثرت مخالفته إختل ضبطه ولم يحتج برواياته وكذلك التخليط في روايته وإضطرابها إن نـدُر لم يضر وإن كثر ردّت روايته" اهـ)

أمّا مخالفة العالم للثوابت الشرعية فهو على قسمين إن وقع ، أوضحها الإمام الشاطبي في موضع آخر فقال[59] :

(أن يخالف أصلا مخالفة ظاهرة من غير إستمساك بأصل آخر ، فهذا لا يقع من مفت مشهور ، إلاّ إذا كان الأصل لم يبلغه ، كما وقع لكثير من الأئمة حيث لم يبلغهم بعض السنن فخالفوها خطأ ، وأمّا الأصول المشهورة فلا يخالفها مسلم خلافا ظاهرا من غير معارضة بأصل آخر ، فضلا عن أن يخالفها بعض المشهورين بالفتيا.

و القسم الثاني : أن يخالف الأصل بنوع من التأويل هو فيه مخطئ) انتهى

الثالث : كونه ليس من أهل هذه المرتبة فلم يصر العلم له وصفا مع عدّه من أهله ، و هذا يرجع إلى غلط في إعتقاد العالم في نفسه أو إعتقاد غيره فيه . إنتهى

بهذا تعلم أنّنا ما حصرنا الخلاف في نوع واحد كما فعل المخالف ، و لم ننبز كلّ مخالف بأنواع الألقاب كما يفعل المخالف ، و لم نأمر بهدر كلّ إجتهادات من زلّ أو أخطأ كما يفعل المخالف ، بل نميّز بين

---

[57]– الموافقات 40/1/1

[58] - شرح مقدّمة صحيح مسلم

[59]– الإعتصام

خلاف و خلاف ، كما نميّز بين الخطأ و الخطأ ، و نميّز بين المخطئ الّذي كثر صوابه ، من المخطئ الّذي صار من منهجه العام هو إتباع البدعة و نصرتها و إحياء الشاذ من الأقوال و نشرها و ردّ المحكمات [60] .

بعدما أوضحنا الصنف الأوّل من قسم علماء الدولة ، نوضح أنّ لهذا القسم صنف آخر ، و هو :

الصنف الثاني من هؤلاء من لم يصحّ بمعيار العلم أنّه من العلماء ، بل سلك هذا الدرب من أجل تحقيق رغباته الشخصية كحصول على المنصب و الجاه و المال ، و هذا من الغدر و الخيانة في الدّين ، " والخيانة والغدر مسقطة تماما لحرمة العرض ، فيجوز وصف " العالم " الذي هذه حاله و هذا هو وصفه بأنّه عالم فاسد أو عالم خائن أو عالم منافق ، كلٌّ بحسب فعله الخياني ودرجته ؛ وإذا كان عمر قد أطلق لقب (منافق) على حاطب رضي الله عنه وحاطب قد شهد بدرا ، ومع ذلك لم ينكر عليه النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وإنّما قال إنّ حاطب قد شهد بدرا .. وهو ومن شهد بدرا مغفور لهم على الخصوص .. فما أسهل إطلاق لقب منافقين على هؤلاء الشيوخ الذين يكرسون كلّ الظلم والفجور والكفر الذي إستبيحت الأمّة به بل ويجعلون لهذا الفجور غطاء شرعيا يزعمون بعدها أنّه عين ما يرضي الله !!

ولذا فإنّ من الكذب والدجل في دين الله أن يقال (لحوم العلماء مسمومة) ليست مسمومة بإطلاق بل بعضها من اللحم الحلال عندما يخون العالم أمّته ويسكت عن الكفر والخيانة بل ويبررها للحكام ويوجد الأعذار للحكام للإستمرار في أفعالهم لينال منهم بعد ذلك ما يحقق شهواته .

إنّ المهمة الشرعية للعلماء ليست أن يكونوا علماء عند الحاكم أي موظفين عنده فهؤلاء ليسوا علماء بل هؤلاء

(مرتزقة) مرتشين ، مهمة العالم الشرعي الحقيقي في قوله تعالى: " لتبيّنه للناس ولا تكتمونه " ، فإذا لم يبيّن العالم الحقّ ، وجعل كلّ شيء مرتبط بالحاكم وجعل مدار حياتنا على رضا الحاكم وعدم رضاه ، فهذا ليس بعالم بل موظف حكومي خسيس ليس له حرمة ولا كرامة ." [61]

قال محمد بن مسلمة في مثل هذا الصنف : الذباب على العذرة، أحسن من قارئ على باب هؤلاء (يقصد الحكام)

فضح الله تعالى هؤلاء :

و لقد فضح الله هذا الصنف المقيت في كتابه و من هذه الآيات :

---

[60] – و فقني الله بوضع بحث في هذا الصدد بعنوان : نريد ان يسكت الّذي لا يعرف ، و قد تمّ نشره و لله الحمد .

[61] – ما بين الهلالين من كلام الشيخ عطية الله بتصرّف .

* قال الله تعالى : " و من النّاس من يجادل في الله بغير علم و يتّبع كلّ شيطان مريد ، كتب عليه أنّه من يتولاّه فإنّه يضلّه و يهديه إلى عذاب السّعير " . الحج (الآية : 5)

يُخبر سبحانه العليم الخبير أنّ من النّاس طائفة سلكوا طريق الضلال ، فجعلوا يجادلون بالباطل ، يريدون بمسلكهم هذا إحقاق الباطل و إبطال الحقّ.

قال عبد الرحمن السعدي في تفسيره لهذه الآية : و الحال أنّهم في غاية الجهل ما عندهم من العلم شيء ، و غاية ما عندهم تقليد أئمّة الضلال (أقول : و على رأسهم في هذا الزمان الحكام الّذين رضوا بالقوانين الوضعية المحاربين لشريعة ربّ البريّة) ، من كلّ شيطان مريد ، متمرّد على الله و على رسله ، معاند لهم ، قد شاقّ الله و رسوله ، و صار من الأئمّة الّذين يدعون إلى النّار . إنتهى

فمن تولّى أمثال هؤلاء الحكام و أمثال هؤلاء " العلماء " فإنّه يضلّه عن الحقّ و يجنّبه الصراط المستقيم ، ويهديه إلى عذاب السّعير ، قال عبد الرحمن السعدي : و هذا نائب إبليس حقّا ، فإنّ الله قال عنه : " إنّما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السّعير " ، فهذا الّذي يجادل في الله ، قد جمع بين ظلاله لنفسه ، و تصدّيه إلى إضلال النّاس ، و هو متبع و مقلّد لكلّ شيطان مريد ، ظلمات بعضها فوق بعض ، و يدخل في هذا جمهور أهل الكفر و البدع ، فإنّ أكثرهم مقلّدة ، يجادلون بغير علم . إنتهى

* و قال سبحانه : " و من النّاس من يجادل في الله بغير علم و لا هدى و لا كتاب منير ، ثاني عطفه ليضلّ عن سبيل الله له في الدّنيا خزي و نذيقه يوم القيامة عذاب الحريق " الحج (الآية : 8 – 9)

بعدما أكّد الله سبحانه على جهل هؤلاء و تقليدهم لأسيادهم ، بيّن وصفا آخر يتصف به هؤلاء " العلماء " و ذلك في قوله " ثاني عطفه " ، قال عبد الرحمن السعدي : " ثاني عطفه " : أي لاوي جانبه و عنقه ، و هذا كناية عن كبره عن الحقّ ، و إحتقاره للخلق ، فقد فرح بما معه من العلم غير النّافع ، و إحتقر أهل الحقّ و ما معهم من الحقّ . إنتهى

و قوله سبحانه مبيّنا عقوبة هؤلاء في الدنيا : " له في الدّنيا خزي " أي أنّ الله يفضح هؤلاء في الدنيا فينالون من ذلك المقت و البغض و الذمّ ما هو حقيق به و كلّ بحسب حاله ، و كم فضح الله أمثال هؤلاء بين العالمين في هذا الزمان ، و صدق الله العظيم .

* و قال الله سبحانه : " الّذين يجادلون في ءايات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله و عند الّذين ءامنوا كذلك يطبع الله على كلّ قلب متكبّر جبّار " غافر (الآية : 35)

فكلّ من جادل الحق الواضح كمسألة القوانين الوضعية ، و مسألة جهاد الدّفع ، و مسألة كفر من ناصر و ظاهر الكفار ضدّ المسلمين فاستباح أعراضهم و سفك دماءهم و نهب ثرواتهم ، فهو يجادل بغير سلطان و لا حجّة و لا برهان و هذا وصف لازم لهؤلاء و هذا ما أوضحته الآيات السابقة أنّهم

على جهل مركّب ، كما أوضحت الآية ما أوضحته سابقاتها أنّ هؤلاء متّصفون بالكبر ، و أنّهم ممقوتون عند أهل الحقّ و الإيمان ، مقدّمون عند أهل الباطل و الطغيان .

* قال الله تعالى : " إنّ الّذين يجادلون في ءايات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلاّ كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنّه هو السّميع البصير " غافر (الآية : 56)

و هذه الآية كذلك جاءت لتؤكّد المسائل المستخلصة من الآيات السّابقة ، و فيها أمر زائد أنّ هؤلاء مغلوبون ، و أنّ الحقّ منتصر .

قال عبد الرحمن السعدي في تفسير هذه الآية : يخبر تعالى أنّ من جادل في آياته ليبطلها بالباطل بغير بيّنة من أمره و لا حجّة ، إنّ هذا صادر من كبر في صدورهم على الحقّ و على من جاء به ، يريدون الإستعلاء بما معهم من الباطل ، فهذا قصدهم و مرادهم، و لكن هذا لا يتمّ لهم ، و ليسوا ببالغيه ، فهذا نصّ صريح و بشارة بأنّ كلّ من جادل الحقّ أنّه مغلوب ، و كلّ من تكبّر عليه فهو في نهايته ذليل . إنتهى

<u>شبهة و الردّ عليها :</u>

يقولون : هل هذا يعني تكفير بعض العلماء ؟

الجواب : <u>أوّلا</u> : التكفير حكم شرعيّ مردّه إلى الكتاب و السنّة ، لا إلى الأهواء و الرغبات ، و قد أرشدنا الشرع أنّ التكفير هو على حالتين ، الحالة الأولى : التكفير بإطلاق ، و الحالة الثانية تكفير المعيّن ، كلّ من هاتين الحالتين ورد في الكتاب و السنّة و في هدي سلف الصالح .

أمّا المقصود بالتكفير بإطلاق : هو الحكم بالكفر على القول أو الفعل أو الإعتقاد الذي ينافي أصل الإسلام ويناقضه على سبيل الإطلاق بدون تعيين فيقال مثلا : من قال كذا ، أو فعل كذا فهو كافر ، وهذا التكفير العام المطلق يجب القول بعمومه وإطلاقه.

أمّا تكفير المعيّن : فهو الحكم على المعين بالكفر لإتيانه بأمر يناقض الإسلام وهذا يختلف بإختلاف المسألة التي وقع فيها كأن تكون ظاهرة أو خفية ، فلا تلازم بين من وقع في الكفر ووقوع الكفر عليه دائما .

ثانيا : تكفير المعيّن لا يكون إلاّ بتوفّر شروط و إنتفاء موانع ، فلا ينبغي الإقدام على تكفير المعيّن إلاّ بعد تثبّت و تأكّد من أنّ الأمر الّذي وقع فيه المعيّن هو من نواقض الإسلام ، ثمّ التأكّد من أن المعيّن وقع فيه حقّا .

و من هنا تعلم أنّه ليس بمجرّد وقوع المعيّن في ناقض من نواقض الإسلام يكفر ، بل لابدّ من توفر الشروط و إنتفاء الموانع .

ثالثا : مسألة التعيين ، لابدّ ان تدرس الحالات المعيّنة كلّ واحدة منها على حدة ، فليس من الشريعة التكفير بالجملة أو التبديع بالجملة كما ظهر عند جماعات وقعت إمّا في الغلوّ في التكفير و الأخرى وقعت في الغلوّ في التبديع و التضليل ، بل لكلّ شخص له حالاته يجب مراعاتها في الأحكام ، لأنّ إطلاق الحكم على المعيّن هو مرتبط بمسائل القضاء أكثر ممّا هو مرتبط بمسائل الفتوى .

رابعا : الحكم على المعيّن في الغالب مبناها على الإجتهاد فهي من العلم الذي سبيله النظر والاجتهاد والاستدلال، و ليس من العلم الضروري القطعي الّذي يكفر فيه المخالف .

خامسا : لابدّ من التفريق بين أصناف العلماء من حيث منهجهم العام ، فمن عُرف من حاله و منهجه تحرّي الصواب و إتباع الحق و بذل الجهد في الوصول إلى الهدى، ليس في نفس الرتبة من عُرف من حاله إتباع الشاذ من الأقوال ، و الفتوى بالرخص ، و الدفاع عن الظلم ، و الحرص على المنصب ، فالأوّل قد يُعذر بما لا يُعذر به الثاني .

فبعد هذا البيان لا يفتري علينا أحد أنّنا نكفر العلماء ، بل المسألة مبنية على التحرّي ، و إسقاط الدليل على الحالة المدروسة ، و ليست مبنية على التشهي و إتباع الهوى .

سادسا : ثمّة من العلماء من وقع في الكفر و لا يقع الكفر عليه لوجود مانع و لعدم توفر شرط ، كما أنّه يوجد من يُنسب إلى أهل العلم من يكفر ، ألم يكفر السلف جهم بن صفوان ، ألم يكفر السلف جعد بن درهم ، ألم يكفر العلماء محي الدّين بن عربي ، ألم يكفر العلماء الحلاج ، و غيرهم و غيرهم ؟ إذًا المسألة تحتاج إلى علم لا إلى مزايدات و قلاقل و بلبلات .

مسألة : التحذير من داء التعصّب

عجبا لبعض أتباع هذا الصنف من العلماء ، إذا ما وجدوا أحدا خالف عالمهم يبادرونه بالنكير و ياليت النكير كان على وفق الدليل ، بل هو نكير المتعصب المفلس، نكيرهم يقع في جملة واحدة و هي : " أ أنت أعلم أم الشيخ "

أو يقولون : " لا بدّ من الرجوع إلى أهل العلم " و طبعا لا يقصدون إلاّ من يتّبعونه و كأنّه لا عالم في الوجود إلاّ متبوعهم ، فيا لله لدينه و كتابه و سنّة رسوله ، و لبدعة كادت تشل عرش الإيمان و تهدّ ركنه ، لولا أنّ الله ضمن لهذا الدّين أن لا يزال فيه من يتكلّم بأعلامه و يذبّ عنه ، قال[62] الإمام إبن القيّم : فمن أسوأ ثناء على الصحابة

[62] – إعلام الموقّعين 149/2

و التابعين و سائر علماء المسلمين ، و أشدّ إستخفافا بحقوقهم ، و أقلّ رعاية لواجبهم ، و أعظم إستهانة بهم ممّن لا يلتفت إلى قول رجل منهم ، و لا إلى فتواه غير صاحبه الّذي إتّخذه وليجة من دون الله و رسوله . إنتهى

فما يجب أن يعرفه هؤلاء المتعصبة الّذين يزعمون أنّهم من أتباع الحق و من أتباع منهج السلف ثمّ يجعلون هؤلاء الصنف من العلماء جنّة لنصرة ما يهوونه هم فإنّ هذا التدليس منهم و الكذب لن يدوم فالله سبحانه عليم ما بذات الصدور .

قال الإمام إبن القيّم :

و كذاك جعلكم المشايخ جنّة	**بخلافة و القصد ذو التبيان**
و الله يشهد ذا بحذر قلوبكم	**و كذا يشهده أولو الإيمان**
و الله ما عظّمتموه طاعة	**و محبّة يا فرقة العصيان**
أنّى و جهلكم به و بدينه	**و خلافكم للوحي معلومان**
أوصاكم أشياخكم بخلافهم	**لوفاقه في سالف الأزمان**
خالفتم قول الشيوخ و قوله	**فغدا لكم خلفان متفقان.**

فالحق لا يعرف بفلان أو علان بل بالدليل و على ما كان عليه السلف الصالح .

إنّ معارضة الدليل من أجل قول فلان مهما كان إسمه و مهما علا رسمه هي سنّة اليهود و النصارى الّذين إتخذوا أحبارهم و رهبانهم أربابا من دون الله يحرّمون لهم ما أحلّه الله ، و يحلّون لهم ما حرّمه الله بالتحريف و التبديل ، و إنّه لو فتح هذا الباب – يعني المعارضة بـ" أنت أعلم أم فلان" – لوجب أن يعرض عن أمر الله ورسوله ويبقى كلّ إمام في أتباعه بمنزلة النبيّ صلى الله عليه وسلم في أمّته، وهذا تبديل للدّين .

قال عبد الله بن عبّاس رضي الله عنه : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول : قال رسول الله صلّى الله عليه و سلّم و تقولون قال أبو بكر و عمر .

و قال الإمام أحمد بن حنبل : عجبتُ لقوم عرفوا الإسناد و صحّته ، و يذهبون إلى رأي سفيان ، و الله تعالى يقول: (فليحذر الّذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) أتدري ما الفتنة ؟. الفتنة الشرك . إنتهى

قال أبو جعفر إبن جرير عن الضحاك : (فليحذر الّذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) قال : يطبع على قلبه فلا يؤمن أن يظهر الكفر بلسانه فتضرب عنقه .

قال[63] الإمام الشاطبي : لا ينبغي أن ينقل حكم شرعي عن أحد من أهل العلم إلاّ بعد تحقّقه و التثبت لأنّه مخبر عن حكم الله ، فإيّاك و التساهل فإنّه مظنّة الخروج عن الطريق الواضح إلى السيئات ؛ و ليس لأحد من الخلق أن يخترع في الشريعة من رأيه أمرا لا يوجد عليه منها دليل لأنّه عين البدعة .إنتهى

قال الإمام إبن القيّم واصفا هؤلاء المتعصّبة :

عرضوا النصوص على كلام شيوخهم	فكأنّها جيش لذي سلطان
و العزل و الإبقاء مرجعه إلى السلطان	دون رعية السلطان
و كذا أقوال الشيوخ فإنّها الميزان	دون النص و القرآن
إن وافقا قول الشيوخ فمرحبا	أو خالفت فالدفع بالإحسان
إمّا بالتأويل فإن أعيا	فتفويض و نتركها لقول فلان
إذ قوله نص لدينا محكم	فظواهر المنقول ذات معان[64]
و النص فهو به عليم دوننا	و بحاله ما حيلة العميان
إلاّ تمسكهم بأيدي مبصر	حتّى يقودهم كذي الأرسان
فاعجب لعميان البصائر أبصروا	كون المقلّد صاحب البرهان
و رأوه بالتقليد أولى من سواه	بغير ما بصر و لا برهان
و عموا عن الوحيين إذا لم يفهوا	معناهما عجبا لذي الحرمان
قول الشيوخ أتمّ تبيانا من الوحيين	لا و الواحد الرحمن
النقل نقل صادق و القول من	ذي عصمة في غاية التبيان
أفيستوي النقلان يا أهل النهى	و الله لا يتماثل النقلان
هذا الّذي ألقى العداوة بيننا	في الله نحن لأجله خصمان[65]

---

[63] – الإعتصام

63– يعني أنّهم يتركون النصوص لقول فلان من الناس ، لأنّ قوله في نظرهم نص محكم لا إشتباه فيه و لا يحتمل أكثر من معنى ، أمّا ظواهر النصوص فهي متشابهة محتملة لمعان عدّة في زعمهم، و من جهة أخرى يتذرّعون بأنّ شيخهم أعلم بالنصوص منهم ، فهم لا يعرفون تفسيرها إلاّ من جهته ، و لا ينظرون فيها إلاّ بعينه كالعميان في حاجتهم إلى قائد بصير يقودهم قود الدّواب ؛ و العجب من هؤلاء العميان كيف أبصروا أنّ شيخهم هو صاحب البرهان دون غيره ، و كيف آثروا كلامه على كلام غيره بمجرد التقليد من غير برهان

نصروا الضلالة من سفاهة رأيهم	لكن نصرنا موجب القرآن
و لنا سلوك ضد مسلكهم فما	رجلان منّا قط يلتقيان
إنّا أبينا أن ندين بما به	دانوا من الآراء و البهتان
إنّا عزلناها و لم نعبأ بها	يكفي الرسول و محكم الفرقان
من لم يكن يكفيه ذان فلا كفاه	الله شرّ حوادث الأزمان
من لم يكن يشفيه ذان فلا شفاه	الله في قلب و لا أبدان
من لم يكن يغنيه ذان رماه ربّ	العرش بالإعدام و الحرمان
من لم يكن يهديه ذان فلا هداه	الله سبيل الحق و الإيمان
إنّ الكلام مع الكبار و ليس مع	تلك الأراذل سفلة الحيوان[66]
أوساخ هذا الخلق بل أنتانه	جيف الوجود أخبث الإنسان
الطّالبين دماء أهل العلم بالكفران	و العدوان و البهتان
الشّاتمي أهل الحديث عداوة	للسنّة العليا مع القرآن
جعلوا مسبّتهم طعام حلوقهم	فالله يقطعها من الأذقان
كبرا و إعجابا و تيها زائدا	و تجاوزا لمراتب الإنسان
لو كان هذا من وراء كفاية	كنّا حملنا راية الشكران[67]
لكنّه من خلف كلّ تخلف	عن رتبة الإيمان و الإحسان

طريقة السلف في الأخذ بأقوال أهل العلم :

ما يجب أن يعرف كذلك ، طريقة السلف في الأخذ بأقوال أهل العلم .

64– إنّ إنتصار هؤلاء العميان لأقوال شيوخهم و تقديمهم إيّاها على الوحيين هو الّذي أرث بيننا و بينهم العداوة و جعلنا خصمين في الله .

65– إنّ كلامنا و مناظراتنا إنّما نتوجّه بها إلى رؤساء القوم و المتصدّرين منهم لنصرة المذاهب الباطلة ، و لسنا نعني بها أولئك الأخساء الأراذل الّذين هم شرّ الدّواب الّذين إنطوت نفوسهم على الحقد القاتل و العداوة اللدود لأهل الحق و التوحيد ، يودون لو خلت منهم الدنيا حتّى يستريحوا من إستطالتهم عليهم بالآثار و القرآن .

66– و ليتهم فعلوا ذلك عن جدارة و كفاية ، و كان عندهم من العلم و المعرفة ما يؤهلهم للمناظرة ، إذًا لعرفنا لهم حقهم و شكرنا لهم هذه الهمّة في المناظرة ، و لكنّهم لا يصدرون في ذلك إلاّ عن كبر في صدورهم ، و إعجاب منهم بآرائهم المنحرفة ، و هم مع ذلك متخلّفون أشدّ التخلف ، قاصرون كلّ القصور عن أقل درجات الإيمان و الإحسان.

قال[68] إبن القيّم : طريق أهل العلم طلب أقوال العلماء و ضبطها و النظر فيها و عرضها على القرآن و السنن الثابتة عن رسول الله صلّى الله عليه و سلّم و أقوال الخلفاء الرّاشدين[69] فما وافق ذلك منهم قبلوه و دانوا الله به

و قضوا به و أفتوا به ، و ما خالف ذلك منها لم يلتفتوا إليه و ردّوه ، و ما لم يتبيّن لهم كان عندهم من مسائل الإجتهاد الّتي غايتها أن تكون سائغة الإتباع لا واجبة الإتباع ، من غير أن يلزموا بها أحدا ، و لا يقول أنّها الحق دون ما خالفها ، هذه طريقة أهل العلم سلفا و خلفا ، و أمّا هؤلاء الخلف فعكسوا الطريق ، و قلّبوا أوضاع الدّين ، فزيّفوا كتاب الله و سنّة رسوله و أقوال خلفائه و أصحابه ، فعرضوها على أقوال من قلّدوه ، فما وافقها منها قالوا : " لنا ... " و إنقادوا له مذعنين ، و ما خالف أقوال متبوعهم منها ، قالوا : " إحتجّ الخصم بكذا و كذا " و لم يقبلوه ، و لم يدينوا به ، و إحتال فضلاؤهم في ردّها بكلّ ممكن ، و تطلّبوا لها الحِيَل الّتي تردّها ، و إذا كانت موافقة لمذاهبهم و كانت تلك الوجوه بعينها قائمة فيها شنّعوا على منازعهم ، و أنكروا عليه ردّها بتلك الوجوه بعينها ،

و قالوا : " لا تردّ النصوص بمثل هذا " و من له همّة تسموا إلى الله و مرضاته ، و نصر الحق الّذي بعث الله به رسوله أين كان و مع من كان لا يرضى لنفسه بمثل هذا المسلك الوخيم و الخلق الذميم.إنتهى

تنبيه :

ننبه هؤلاء المتعصّبة أنّه لا يلزم كون العالم معذورا مأجورا في قول أو فعل أخطأ فيه أن يكون كلّ من وافقه على ذلك معذورا مأجورا أيضا.

ما منهم أحد دعا لمقالة	**غير الحديث و مقتضى الفرقان**
فالقوم لم يدعوا إلى غير الهدى	**و دعوتم أنتم لرأي فلان**
شتان بين دعوتين فحسبكم	**يا قوم ما بكم من الخذلان**[70]

---

[68]– إعلام الموقعين 160/2

68– بل صار في هذا الزمان عرض نصوص القرآن و السنّة على أقوال الرجال فإذا وافقت أقوالهم طاروا بها كلّ مطار ، و إذا خالفت نالها نصيب من التحريف و التبديل ، أمّا عن أقوال السلف و فهمهم فصارت لهم عبارة يرددونها و هي : "هذا الزمان مغاير عن زمن السلف ، فلابدّ أن نرجع إلى علماء هذا الوقت " و طبعا يقصدون بالعلماء من يتعصّبون إليهم.

69– أي هؤلاء الّذين تعادونهم من أهل الحق ، لم يدع أحد منهم إلى مقالة مبتدعة ، و إنّما دعوا إلى الأخذ بما في كتاب الله و سنّة رسوله عليه الصّلاة و السّلام ، أمّا أنتم فتعرضون عن الكتاب و السنّة من أجل رأي فلان و علان ممّن يجوز عليه الخطأ .

قالوا لنا لمّا دعوناهم إلى	هذا مقالة ذي هوى ملآن
ذهبت مقادير الشيوخ و حرمة	العلماء بل عبرتهم العينان
و تركتم أقوالهم هدرا و ما	أصغت إليها منكم أذنان
لكن حفظنا نحن حرمتهم و لم	نعد الّذي قالوه قدر بنان[71]
يا قوم و الله العظيم كذبتم	و أتيتم بالزور و البهتان
و نسبتم العلماء للأمر الّذي	هم منه أهل براءة و أمان
و الله ما أوصاكم أن تتركوا	قول الرسول لقولهم بلسان
كلا و لا في كتبهم هذا بلى	بالعكس أوصاكم بلا كتمان
إذ قد أحاط العلم منهم أنّهم	ليسوا بمعصومين بالبرهان
كلا و ما منهم أحاط بكلّ ما	قد قاله المبعوث بالقرآن
فلذاك أوصاكم بأن تجعلوا	أقوالهم كالنص في الميزان
لكن زنوها بالنصوص فإن	توافقها فتلك صحيحة الأوزان[72]
لكنّكم قدّمتم أقوالهم	أبدا على النصّ العظيم الشان
و الله لا لوصية العلماء	نفذتم و لا لوصية الرحمن
و ركبتم الجهلين ثمّ تركتم	النصين مع الظلم و مع عدوان
قلنا لكم فتعلّموا قلتم أمّا	نحن الأئمّة فاضلوا الأزمان
من أين و العلماء أنتم فاستحيوا	أين النجوم من الثرى التحتاني
لم يشبه العلماء إلاّ أنتم	أشبهتم العلماء في الأذقان

70– و لمّا ندعوا هؤلاء إلى الكتاب و السنّة نفروا و قالوا مقالة المغيظ : لقد أزريتم بأقدار العلماء حيث تدعون إلى ترك أقوالهم و عدم الإصغاء إلى أرائهم – يقولون – أمّا نحن فقد حفظنا حرمتهم حيث لم نتجاوز أقوالهم . هكذا يقولون و هذا نهج المقلدة الجامدين في كلّ زمان يتّهمون الّذين يدعون إلى الكتاب و السنّة بأنّهم يتهجّمون على العلماء .

71– يقسم الإمام إبن القيّم بالله العظيم أنّ هؤلاء المقلّدة المتباكين على حرمة العلماء قد كذبوا على هؤلاء العلماء أنفسهم ، و نسبوهم إلى ما هم منه براء من دعوة الناس إلى أقوالهم دون النظر في أدلّتها ، و الله تعالى في كتابه ما أمرنا أن نترك قول الرسول عليه الصّلاة و السّلام لقول أحد من الناس ، حتّى الأئمّة لم يدّع أحد منهم أنّ ما قاله هو الحق وحده الّذي يجب إتّباعه ، بل قد صحّ عنهم أنّهم يبرأون إلى الله من كلّ قول قالوه يخالف الكتاب و السنّة ، جاءت و صيتهم جميعا بأن لا تُجعل أقوالهم مساوية للنص في الميزان ، بل يجب أن توزن بالكتاب و السنّة فإن وافقها فهي صحيحة و إلاّ فيجب إتّباع النصّ ، و هذا هو اللائق بهم إذ يعلمون أنّهم ليسوا بمعصومين و لا أنّهم أحاطوا بكلّ شيء علما

و الله لا علم و لا دين و لا	عقل و لا بمروءة الإنسان
عاملتم العلماء حين دعوكم	للحق بل بالبغي و العدوان[73]
إن أنتم إلاّ الذباب إذا رأى	طعما فيا لمساقط الدبان
و إذا رأى فزعا تطاير قلبه	مثل البغاث يساق بالعقبان
و إذا دعوناكم إلى البرهان كان	جوابكم جهلا بلا برهان
نحن المقلّدة الألى ألفوا كذا	آباءهم في سالف الأزمان
قلنا فكيف تكفرون و ما لكم	علم بتكفير و لا إيمان
إذ أجمع العلماء أنّ مقلّدا	للناس و الأعمى هما أخوان
و العلم معرفة الهدى بدليله	ما ذاك و التقليد مستويان
حرنا بكم و الله لا أنتم مع	العلماء تنقادون للبرهان
كلا و لا متعلمون فمن ترى	تدعون نحسبكم من الثيران
لكنّها و الله أنفع منكم	للأرض في حرث و في دوران
نالت بهم خيرا و نالت منكم	المعهود من بغي و من عدوان
فمن الّذي خير و أنفع للورى	أنتم أم الثيران بالبرهان.[74]

72– بالرغم من أمر الله لكم أن لا تقدّموا بين يدي الله و رسوله ، و بالرغم من وصية العلماء أن لا تقدّموا أقوالهم على قول الله و رسوله، كابرتم و خالفتم ذلك كلّه ، فلا أنتم إمتثلتم أمر ربّكم ، و لا أنتم نفذتم وصية العلماء ، و ركّبتم الجهلين ، جهل بالحق الّذي يجب إتباعه ، و جهلكم أنّكم تجهلون ، و إذا نصحكم ناصح أن تتعلّموا غضبتم و تبجحتم أنّكم من طلبة العلم و منكم من يتبجح أنّه من العلماء، أشبهتم طلبة العلم و العلماء في طول اللّحى و اللّباس أمّا ما وراء ذلك فأنتم لا علم و لا دين و لا عقل و لا حتّى مروءة إنسانية ، فقد كنتم لئاما حين عاملتم من يدعوكم من طلبة العلم و العلماء إلى الحق بالبغي و الكيد الدنيء و الإعتداء الأثيم

73– يشبه الإمام إبن القيّم هؤلاء المتعصّبة في دناءتهم و تهافتهم على حطام الدنيا بالذباب إذا رأى طعاما كثر تساقطه فيه ، و هم مع ذلك جبناء إذا رأوا هيعة طارت نفوسهم و إنخلعت قلوبهم ، و إذا ناظرهم طلبة العلم و العلماء و طالبوهم بالبرهان لم يقدروا على إقامته و كان جوابهم هو جواب أهل التقليد " إنّا و جدنا آباءنا على أمّة و إنّا على آثارهم مهتدون " ، فقيل لهم كيف تكفرون و تبدّعون من خالفكم ، و أنتم لا علم عندكم بمواضع التكفير و التبديع و الإيمان و الهداية ، نحن حيارى من أمركم فلا أنتم من طلبة العلم فضلا أن تكونوا من العلماء في طلب الدليل و البرهان ، و لا أنتم ترضون لتتعلّموا لتزيلوا عن أنفسكم غشاوة الجهل و التقليد، فلا نظنّكم إلاّ جماعة من الثيران على أنّ الثيران أنفع و خير منكم أمّا أنتم فما نالت بكم الأرض إلاّ شرّا .

فصل : الصنف الثالث
عالم ملّة

عالم ملّة : وهو العالم الرّبّاني المتّبع للنّص , العامل لمرضاة الله تعالى , المجتهد في معرفة الحقّ , الّذي لا يخلو زمان منه, رحمة من الله تعالى وفضلٍ " لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحق لا يضرّهم من خالفهم و لا من خذلهم".

من أهمّ أوصافه:

- أن يتمثّل فيه صفة العلم ، قال[75] أبو عمرو بن الصّلاح و هو يتحدّث عن شروط المفتي: أن يكون فقيه النفس ، سليم الذهن ، صحيح التصرف و الإستنباط مستيقظا . إنتهى
- أن يعمل بعلمه على قدر الإستطاعة فيما له أو عليه ، فالعمل ثمرة العلم .
- أن يدعوا إلى الحق الذي يعرفه ويعلمه ، قال[76] الشاطبي و هو يتكلم عما يجب أن يكون عليه المفتي :

... و يجب أن يكون ثقة مأمونا لا يتساهل في أمر الدّين . إنتهى

و قال أبو عمر بن الصلاح : و ينبغي أن يكون كالرّاوي في أنّه لا يؤثر فيه قرابة أو عداوة ، و جرّ نفع أو دفع ضرّ ، و لأنّ المفتي في حكم مخبر عن الشرع بما لا إختصاص له بشخص ، فكان كالراوي لا كالشاهد .إنتهى

- أنّه يخشى الله فلا يقول على الله إلاّ الحق ، فإن خاف على نفسه سكت ولا يفتري على الله الكذب وهو يعلم ، فالكذب على الله و على شرع الله أخطر من الشرك بالله جلّ و علا ، قال الله تعالى : " حرّم ربّي الفواحش ما ظهر منها و ما بطن و الإثم و البغي بغير حق و أن تشركوا بالله ما لم يُنزل به سلطانا و أن تقولوا على الله ما لا تعلمون " ، فرتّب الله في هذه الآية الذنوب من الأدنى إلى الأعلى ، فجعل سبحانه أعظم الذنوب هو القول على الله بلا علم .
- أنّه يصدع بالحق يوم الحاجة , ولا يكتم ما أوجب الله إبلاغه ، قال[77] العزّ بن عبد السّلام : ينبغي لكلّ عالم إذا أذلّ الحقّ و أخمل الصواب أن يبذل جهده في نصرتهما ، و أن يجعل نفسه بالذلّ و الخمول أولى منهما ، و إن عزّ الحقّ و ظهر الصّواب أن يستظلّ بظلّهما ، و أن يكتفي باليسير من رشاش

---

[75] – أدب المفتي و المستفتي (ص : **88**)

[76] – الموافقات (**4/ 258**)

[77] – الملحة في الإعتقاد ، ضمن رسائل في التوحيد (ص : **25 – 26**)

غيرهما :

قليل منك ينفعني و لكن قليلك لا يُقال له قليل

و المخاطرة بالنفوس مشروعة في إعزاز الدّين ، و لذلك يجوز للبطل من المسلمين أن ينغمس في صفوف المشركين ، و كذلك المخاطرة بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و نصرة قواعد الدّين بالحجج و البراهين (مشروعة) ، فمن خشي على نفسه سقط عنه الوجوب و بقي الإستحباب ، و من قال بأنّ التغرير بالنّفس لا يجوز فقد بَعُد عن الحقّ و نأى عن الصّواب . إنتهى

- أنّ لا يداهن في دين الله تعالى ولا يخلط بين المداهنة والمداراة .

فالمداهنة: ترك ما يجب لله من الغيرة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتغافل عن ذلك، لغرض دنيوي، وهوى نفساني، كما في حديث – رواه البخاري في كتاب الفتن – : "إن من كان قبلكم كانوا إذا فعلت فيهم الخطيئة، أنكروها ظاهراً، ثم أصبحوا من الغد يجالسون أهلها، و يواكلونهم و يشاربونهم كأن لم يفعلوا شيئا بالأمس". فالاستئناس والمعاشرة، مع القدرة على الإنكار، هي المداهنة.

وأما المداراة، فهي: درء الشر المفسد بالقول اللين، وترك الغلظة، أو الإعراض عنه إذا خيف شره، أو حصل منه أكبر مما هو ملابس؛ عن عائشة، رضي الله عنها: "أنه استأذن على النبي رجل، فقال: بئس أخو العشيرة هو. فلما دخل على النبي صلى الله عليه وسلم، ألان له الكلام، فقالت عائشة: قلت فيه يا رسول الله ما قلت؟ فقال: إن الله يبغض الفحش والتفحش" – رواه البخاري في كتاب الأدب – قال[78] العلاّمة حمد بن علي بن عتيق : أنّ المداهن لا بد أن يفتح الله له باباً من الذل والهوان من حيث طلب العز; وقد قال بعض السلف: من ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، مخافة المخلوقين، نزعت منه الطاعة؛ فلو أمر ولده أو بعض مواليه لإستخف بحقه، فكما هان عليه أمر الله، أهانه الله وأذله، " نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ " [سورة التوبة آية: 67].

– أنّها إذا نزلت العقوبات، فالمداهن داخل فيها، كما في قوله تعالى: " وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً " [سورة الأنفال آية: 25]...

– أنّ المداهن، الطالب رضا الخلق، أخبث حالاً من الزاني والسارق والشارب؛ قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وليس الدّين بمجرد ترك المحرمات الظاهرة، بل بالقيام مع ذلك بالأمور المحبوبة لله، وأكثر الدينين لا يعبؤون منها، إلاّ بما شاركهم فيه عموم الناس، وأمّا الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة لله ورسوله وعباده، ونصرة الله ورسوله وكتابه ودينه، فهذه الواجبات، لا يخطرن ببالهم، فضلاً عن أن يريدوا فعلها، فضلاً عن أن يفعلوها. وأقل الناس ديناً، وأمقتهم إلى الله، من ترك هذه الواجبات،وإن زهد في الدنيا جميعها. وقلّ أن يرى منهم من يحمر وجهه، ويتمعر في الله، ويغضب

---

[78] – رسالة له بعنوان : وجوب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، ضمن الدرر السنية المجلد الثامن

لحرماته، ويبذل عرضه في نصرة دينه؛ وأصحاب الكبائر أحسن حالاً عند الله من هؤلاء. انتهى.

فلو قدر أنّ رجلاً يصوم النهار، ويقوم الليل، ويزهد في الدنيا كلّها، وهو مع ذلك لا يغضب، ولا يتمعر وجهه ويحمر لله، فلا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، فهذا الرجل من أبغض الناس عند الله ، وأقلهم ديناً ؛ وأصحاب الكبائر أحسن حالا عند الله منه.

وقد حدثني من لا أتهم، عن شيخ الإسلام، إمام الدعوة النجدية، أنّه قال مرّة: أرى ناساً يجلسون في المسجد على مصاحفهم، يقرؤون ويبكون، فإذا رأوا المعروف لم يأمروا به، وإذا رأوا المنكر لم ينهوا عنه، وأرى أناساً يعكفون عندهم، يقولون: هؤلاء لِحى غوانم، وأنا أقول: إنهم لِحى فوائن[79]، فقال السامع: أنا لا أقدر أقول إنهم لحى فوائن، فقال الشيخ: أنا أقول: إنهم من العمي البكم.

ويشهد لهذا: ما جاء عن بعض السلف، أنّ الساكت عن الحق شيطان أخرس، والمتكلم بالباطل شيطان ناطق؛ فلو علم المداهن الساكت، أنّه من أبغض الخلق عند الله ، وإن كان يرى أنّه طيب، لتكلم وصدع. ولو علم طالب رضا الخلق، بترك الإنكار عليهم، أنّ أصحاب الكبائر أحسن حالاً عند الله منه، وإن كان عند نفسه صاحب دين، لتاب من مداهنته ونزع. ولو تحقق من يبخل بلسانه عن الصدع بأمر الله أنّه شيطان أخرس، وإن كان صائما قائماً زاهداً، لما ابتاع مشابهة الشيطان بأدنى الطمع.

اللّهم إنّا نعوذ بك من كلّ عمل يغضب الرحمن، ومن كلّ سجية تقربنا من التشبه بالشيطان، أو نداهن في ديننا أهل الشبهات والنفاق والكفران.إنتهى كلام العلامة حمد .

- أن لا يبرر جرائم أهل الطّغيان , ويجعل المفسدين في الأرض كالمصلحين.

قال الله تعالى و هو يصف تعنت المعرضين عن شريعته : " و إذا تتلى عليهم ءاياتنا بيّنات قال الّذين لا يرجون لقاءنا إئت بقرآن غير هذا أو بدّله " .

فكان طلب المعاندين من الرسول عليه الصّلاة و السّلام أن يبدّل أحكام شريعة الله ربّ العالمين ، فأمر الله نبيّه أن يجيبهم : " قل ما يكون لي أن أبدّله من تلقاء نفسي إن أتّبع إلاّ ما يوحى إليّ إنّي أخاف إن عصيتُ ربّي عذاب يوم عظيم " يونس (17) .

فإذا كان رسول الله صلّى الله عليه و سلّم يأمره ربّنا أنّ تبديل أحكام الله ليس له ، بل هو مأمور بتبليغ شرع الله ، فكيف بغير النبيّ عليه الصّلاة و السّلام ؟!

- أن يقود الأمّة ويوجّهها إذا فقدت الأمّة القائد والإمام ، فقد تقرّر في السياسة الشرعية أنّ الحكام هم وكلاء عن الأمّة في تطبيق شرع الله جلّ و علا ، قال العلاّمة منصور البهوتي [80] : و تصرّفه – أي الحاكم – على الناس بطريق الوكالة لهم ، فهو وكيل عن المسلمين . إنتهى

---

[79] – أي لحية خبيثة .

[80] – كشاف القناع عن متن الإقناع 6 / 160

فإذا لم يؤد الحكام دورهم فعلى العلماء أن يأخذوا بزمام الأمور ، لا سيما و أنّ لفظة "ولي الأمر " تعني العلماء كما تعني الحكام ، ذهب إبن عباس و مجاهد و عطاء و الحسن البصري و أبو العالية أنّ " ولي الأمر " في قوله تعالى : " يا أيّها الّذين ءامنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم " ، أنّهم أهل الفقه و الدّين أي العلماء .[81]

قال[82] الإمام إبن القيّم مبيّنا أهمّ أوصاف هذا الصنف من العلماء : ورثة الرسل ، و خلفاء الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، و هم الّذين قاموا بالدّين علما و عملا و دعوة إلى الله عزّ و جلّ و رسوله صلّى الله عليه و سلّم ، فهؤلاء أتباع الرّسل صلوات الله عليهم و سلامه حقا ، و هم بمنزلة الطّائفة الطّيّبة من الأرض الّتي زكت ، فقبلت الماء فأنبتت الكلأ و العشب الكثير ، فزكت في نفسها ، و زكا الناس معها ، و هؤلاء هم الّذين جمعوا بين البصيرة في الدّين ، و القوّة على الدّعوة ،

و لذلك كانوا ورثة الأنبياء صلّى الله عليهم و سلّم ، الّذين قال الله فيهم :(و أذكر عبادنا إبراهيم و إسماعيل و إسحاق

و يعقوب أولي الأيدي و الأبصار)[83] أي البصائر في دين الله عزّ و جلّ ، فبالبصائر يُدرك الحق و يُعرف ، و بالقوّة يُتمكّن من تبليغه ، و تنفيذه ، و الدّعوة إليه . إنتهى

ولا يزال لهذه الأمّة علماء ربّانين ولله الحمد والمنّة ، روى الإمام أحمد من طريق معاوية بن أبي سفيان عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدّين ولا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة) ، و في لفظ عند البخاري

(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين، حتّى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون).

وله الحمد والمنّة , أنه سبحانه في كلّ زمان و أوان يقيض طائفة من الناس ينصرون دينه , ويظهرونه للعالمين , فينفون عنه تحريف الغالين , وإنتحال المبطلين , وتأويل الجاهلين , لا يضرهم في ذلك من خالفهم من المعادين , ولا من خذلهم من المثبطين و المنافقين , متمسكين بما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عاظين ذلك بنواجدهم متوكلين على الله ربّ العالمين .

قال الإمام أحمد بن حنبل [84] :الحمد لله الذي جعل في كلّ زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى يحيون بكتاب الله الموتى , ويبصرون بنور الله أهل العمى , فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه , وكم من ضال تائه قد هدوه , فما أحسن أثرهم على الناس

---

[81] – تفسير القر آن العظيم للإمام إبن كثير (2 / 203)

[82] – الوابل الصيّب من الكلام الطيّب ،(ص : 111 – 112)

[83] – سورة ص ، آية : 45

[84] – من مقدمة رسالته الردّ على الجهمية .

, وما أقبح أثر الناس عليهم , ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين , وإنتحال المبطلين , وتأويل الجاهلين الّذين عقدوا ألوية البدعة, وأطلقوا عنان الفتنة , فهم مختلفون في الكتاب ,مخالفون للكتاب , مجمعون على مفارقة الكتاب , يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم ، يتكلمون بالمشابه من الكلام , ويخدعون جهال الناس بما يشتبهون عليهم , فنعوذ بالله من فتنة المضلين اهـ

فما بال الّذين يتظاهرون بالدّفاع عن العلماء لا يدافعون من كان من هذا الصنف الّذين شُوّهوا ، و سُجنوا ، و قُذفوا ، تهمتهم أنّهم صدعوا بالحق فخالفوا أهواء الناس و على رأسهم الحكام الّذين بدّلوا شريعة الله بشريعة أهل الكفر و الطغيان .

قال الإمام إبن القيّم مبيّنا أنّ علماء أهل التوحيد و الحديث هم أنصار الله ورسوله , ولا يبغض الأنصار عبد شمّ رائحة الإيمان فلا تحسب أنّ الأنصار هم فقط الأوس والخزرج , بل أنصار دينه موجودون دائما في كلّ زمان , وأنّ الناس تقع في العلماء الربّانيين , لأنّهم خالفوا الناس إتباعا للحق , ولو وافقوا أهواء الناس وتركوا الحق لرأيت الناس يثنون عليهم , قال الإمام ابن القيم :

يا مبغضا أهل الحديث وشاتما	***	**أبشر بعقد ولاية الشيطان**
أو ما علمت بأنّهم أنصار دين	***	**الله والإيمان و القرآن**
أو ما علمت بأنّ أنصار الرسول	***	**هم بلا شك ولا نكران**
هل يبغض الأنصار عبد مؤمن	***	**أو مد رك لروائح الإيمان**
شهد الرسول بذلك وهي شهادة	***	**من أصدق الثقلين بالبرهان**
أو ما علمت بأنّ خزرج دينا	***	**و الأوس هم أبدا بكل زمان**
ما ذنبهم إذا خالفوك لقوله	***	**ما خالفوه لأجل قول فلان**
لو وافقوك وخالفوه كنت	***	**تشهد أنهم حقا أولو الإيمان**

ثمّ نبه رحمة الله تعالى الّذين يتكلمون في هذا الصنف من العلماء بالسوء من أجل حطام الدنيا ,أو من أجل نصرة أهوائهم ماذا سيجنون يوم القيامة ؟

يا من يعاديهم لأجل مآكل	***	**ومناصب ورياسة الإخوان**
تهنيك هاتيك العداوة كم	***	**بها من حسرة ومزلة وهوان**
ولسوف تجني غيها والله عن	***	**قريب وتذكر صدق ذي الإيمان**
فإذا تقطعت الوسائل وانتهت	***	**تلك المآكل في سريع زمان**
هناك تقرع سن ندمان على	***	**التفريط وقت السير و الإمكان**
هناك تعلم ما بضاعتك التي	***	**حصلتها في سالف الأزمان**
إلاّ الوبال عليك والحسرات	***	**والخسران عند الوضع في الميزان**
قيل وقال ما له من حاصل	***	**إلا العناد وكلّ ذي الأذهان**
و الله ما ينجيك من سجن	***	**الجحيم سوى الحديث ومحكم القرآن**

والله ليس الناس إلا أهلـــــــــه	***	وسواهم مـــن جملة الحيـــــوان

شبهات و الردّ عليها :

الشبهة الأولى : – يقولون : هل معيار هذا الصنف من العلماء و الدعاة هو تهييج الجماهير على الحكام ، فإذا لم يكونوا من التهييجيين لم ترضوا عنهم ؟

الجواب : ليس المعيار هو تهييج الجماهير ، بل المعيار هو معرفة الحقّ و العمل به و الدّعوة إليه و الصبر على الأذى فيه ، قال الله جلّ و علا : " و العصر إنّ الإنسان لفي خسر إلاّ الّين ءامنوا و عملوا الصّالحات و تواصوا بالحقّ و تواصوا بالصبر " ، و قد مرّ معنا قريبا بعض أوصاف هذا الصنف العزيز من العلماء.

بل ممّا يجب التنبيه إليه و نحن نتكلّم على هذا الصنف العزيز من العلماء لابدّ أن نميّزهم عن الّذين يتاجرون بقضايا الأمّة بمقاصد مختلفة ، الّذين لا يُعرفون إلاّ بالتهييج على حساب التكوين و التربية و الإعداد و الجهاد فكثير من هؤلاء إمتحنهم الله في هذه السنوات الأخيرة جرّاء الأحداث المباركة الّتي صنعها إخواننا المجاهدون بفضل من الله تعالى رأينا كيف تحوّل هؤلاء إلى مدافعين على أعداء الله معادين لأولياء الله أحيانا بإسم النقد الذاتي أو بإسم المراجعات و أحيانا بإسم نقد الغلو ، فليس هؤلاء نعني بالعلماء الربّانيين ، فليس المقياس هو ذاك التهييج غير المتّزن بل ربّما يكون في الغالب مقصود لإمتصاص غضب الجماهير كما يقولون ، بل الّذي نريده هو الصّدع بالحق ، مع تكوين جيل أهل الحق لا تأخذه في لله لومة لائم .

ثمّ أقول ، سئل الإمام أحمد عن الإمام مالك و الإمام إبن أبي ذئب ، ففضّل رحمه الله إبن أبي ذئب لصدعه بالحق عند السلاطين ، فمعيار التفضيل بالصدع بالحق له سلف و لله الحمد .

قال الإمام أحمد عند ذلك السؤال : إبن أبي ذئب أصلح في دينه و أورع ورعا ، و أقوم بالحق من مالك عند السلاطين ، و قد دخل إبن أبي ذئب على أبي جعفر فلم يهبه أن قال له الحق ، قال (أي إبن أبي ذئب لأبي جعفر): الظلم فاش ببابك .

و أبو جعفر أبو جعفر .[85]

و لمّا ترجم الإمام الذهبي الإمام الأوزاعي و ذكر قصّته مع الأمير عبد الله بن علي ، قال[86] الإمام الذهبي معقّبا : كان عبد الله بن علي ملكا جبّارا سفاكًا للدماء ، صعب المراس ، و مع هذا فالإمام الأوزاعي يصدعه بمرّ الحقّ ، لا كخلق من علماء السّوء الّذين يحسّنون للأمراء ما يقتحمون به من الظلم و العسف ، و يقلّبون لهم الباطل حقّا قاتلهم الله ، أو يسكتون مع القدرة على بيان الحقّ . إنتهى

---

[85] – أي و لا يخفى أمر أبي جعفر على أحد ، و القصّة في تاريخ بغداد (2 / 302)

[86] – سير أعلام النبلاء (7 /125)

و لمّا صدع أحمد بن نصر الخزاعي بالحق بل بايعه النّاس سرّا على خلع الواثق سنة 231 هج ، ظفر به الواثق فأمر به فقُتل رحمه الله تعالى ، أثنى عليه العلماء ، فقال عنه أحمد بن حنبل : رحمه الله ، لقد جاد بنفسه . و قال عنه يحي بن معين : ختم الله له بالشهادة .[87] و جاء في كتاب السنة للخلال : أنّه الإمام الشهيد .

الشبهة الثانية : – يقولون : كأنّكم بهذا التصنيف للعلماء و الدّعاة ، تدعون الناس إلى الإلتفات حول صنف دون غيره أليس هذا تحزب لفئة دون فئة ؟

الجواب : أوّلا : تصنيف العلماء و الدعاة كما مرّ تقريره في فصول سابقة بفضل من الله جلّ و علا ، ليس بالأمر البدعي ، فقد أوضحتُ نصوصا من القرآن و من السنّة و من كلام السلف ، ثمّ كتب الجرح التعديل الّتي ورثناها عن أئمّتنا أكبر شاهد على ما ذهبنا إليه من تصنيف العلماء و الدعاة ، فقد كان سلفنا يصنّفون العلماء على حسب زمن الرّواية على حسب عدالتهم و ضبطهم ، و نحن نصنّف العلماء و الدعاة في هذا العصر على حسب معرفته بالحق و إتّباعه للسنّة و صدّعه بالحق و ركونه من عدمه لأهل الظلم ، و مع ذلك لا نقول بأنّ الحق محصور في العلماء الّذين صنّفناهم في صنف علماء الملّة ، فكم إستفدنا و لا زلنا نستفيد من علماء الدولة في مسائل كثيرة ما عدا المسائل المتعلّقة بالسياسة الشرعية ، فهذه المسائل بالذّات لا نأخذها إلاّ من الربّانيين ، و لا ضير أن نعرف وجهة نظر غيرهم ، فليس من المعقول مثلا أن نأخذ علم أسماء الله تعالى و صفاته من المعتزلة و الأشاعرة ، لكن لنا أن نستفيد منهم في الفقه و الأصول و ما ليس له علاقة بما ضلّوا فيه .

و هكذا ليس من المعقول أن نأخذ مسائل السياسة الشرعية من علماء يعترفون بحكام عطّلوا شريعة ربّ البريّة و فرضوا بالقوّة على الأمّة القوانين الوضعية .

ثمّ نذكّركم بأنّ الّذي كان يدعو أتباعه إلى التحزب و إلى التكتل حول مجموعة من الدعاة منهج معروف عندنا و عندكم ، و ذلك بإسم الجرح و التعديل ، بل هو جرح و تنكيل ، فلم نعرف منهم تعديلا لأحد إلاّ من رضي بشيخهم و رضي عنه شيخهم رافع لوائهم ، و كنّا و لله الحمد من الرّادين على هذا المنهج الرديء الممقوت الّذي فرّق الأمّة و دعاتها على أساس الهوى و العصبية .[88]

ثانيا : تأكيدا لقولي : ليس من المعقول أن نأخذ مسائل السياسة الشرعية من علماء يعترفون بحكام عطّلوا شريعة ربّ البريّة و فرضوا بالقوّة على الأمّة القوانين الوضعية . قال الله تعالى موضّحا هذا الأمر : " و إذا

---

[87] – سير أعلام النبلاء (11 / 166)

[88] – لي بحث متواضع في هذا الأمر بعنوان : السلفية مهنج فهم و أخلاق ، لا منهج سباب و شقاق .

جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به و لو ردّوه إلى الرّسول و إلى أولي الأمر منهم لعلمه الّذين يستنبطونه منهم و لولا فضل من الله عليكم و رحمته لإتّبعتم الشيطان إلاّ قليلا " النساء (83)

فالله سبحانه و تعالى من خلال الآية يؤدّب عباده المؤمنين ناهيا عن أن يتحدّثوا بما لم يدركوه على حقيقته ، فأمرهم بالتّثبت و عدم الإستعجال في إتّخاذ الأحكام أو في نشر الأخبار ، فقوله سبحانه : " أذاعوا به " أي أفشوه و أظهروه قبل أن يقفوا على حقيقته ، فأمر ردّ الأمور الحرجة إلى أهل الإستنباط ، و ليس كلّ من كان من أهل العلم كان من أهل الإستنباط كما أوضحه الله سبحانه من خلال الآية ، قال[89] الإمام إبن القيّم : قال الجوهري : الإستنباط كالإستخراج ، و معلوم أنّ ذلك قدر زائد على مجرّد فهم اللفظ ، فإنّ ذلك ليس طريقة الإستنباط ، إذ موضوعات الألفاظ لا تُنال بالإستنباط و إنّما تُنال به العلل و المعاني و الأشباه و النظائر و مقاصد المتكلّم ، و الله سبحانه ذمّ من سمع ظاهرا مجرّدا فأذاعه و أفشاه ، و حمد من إستنبط من أولي العلم حقيقته و معناه .

و يوضّحه أنّ الإستنباط إستخراج الأمر الّذي من شأنه أن يخفى على غير مستنبطه . إنتهى

و إدراك حقيقة الأمور يحتاج إلى فهمين ، قال[90] الإمام ابن القيم:ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلاّ بنوعين من الفهم: أحدهما فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط به علما، والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذّي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله في هذا الواقع، ثمّ يطبق أحدهما على الآخر : فمن بذل جهده واستفرغ وسعه في ذلك لم يعدم أجرين أو أجرا. فالعالم من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله أهـ

فإذا عرفنا ذلك عرفنا القاعدة الأدبية من خلال هذه الآية القرآنية ، قال عبد الرحمن بن ناصر السعدي في تفسيره على هذه الآية : و في هذا دليل لقاعدة أدبية ، و هي انّه إذا بحث في امر من الأمور ، ينبغي أن يتولّى من هو أهل لذلك ، و يجعل إلى أهله ، و لا يتقدّم بين أيديهم ، فإنّه أقرب إلى الصّواب و أحرى للسّلامة من الخطأ . إنتهى

فمن غير المعقول أن يستخرج العالم أحكاما مطابقة للدليل في مسائل الإقتصاد مثلا و الطبّ بدون أن يرجع إلى أهل الإختصاص ليستفسر منهم حقيقة الواقع ، فكذلك الحال لا يستطيع المفتي أن يستنبط أحكاما في مسائل الجهاد و هو لم يشارك في هذا الميدان و لم يستشر أهله ، و من هنا أدركنا مزالق بعض اهل العلم في كثير من المسائل المعاصرة حيث إستعجلوا في إطلاق أحكام دون إستشارة من اهل الشأن ، ثمّ إذا جمع عالم بين علم الدليل و علم الإقتصاد مثلا تكون أحكامه في مسائل الإقتصاد أقرب

---

[89] – إعلام الموقعين (1 / 172)

[90] – نفس المصدر

إلى الصواب ممّن لم يجمع العلمين ، و كذلك الحال عالم مجاهد أحكامه في ميدان الجهاد أقرب إلى الصّواب من غيره ، و قل ذلك كذلك في مختلف المسائل المتعلّقة بالسياسة الشرعية ، عالم له تصوّر بحقائق القوانين الوضعية أحكامه فيما يخصّ هذه القوانين تكون أقرب إلى الصّواب من عالم لم يدرك حقائق القوانين الوضعية و الدساتير الوطنية ، و لا يجحد هذه الحقيقة إلاّ مكابر .

باب: نماذج من العلماء الربّانيين الصّادعين بالحق

فإمام الصّادعين بالحق هو محمد بن عبد الله صلّى الله عليه و سلّم و ذلك حين أمره الله جلّ و علا ، فقال : " فاصدع بما تؤمر و أعرض عن الجاهلين " الحجر (94) .

و قوله : " فاصدع بما تؤمر " قال الإمام إبن كثير : أي بلّغ ما أنزل إليك من ربّك و لا تلتفت إلى المشركين الّذين يريدون أن يصدّوك عن آيات الله " و دّوا لو تدهن فيدهنون " ، و لا تخفهم فإنّ كافيك إيّاهم و حافضك منهم .إنتهى

و حتّى لا يتذرّع الواحد بمرحلة الإستضعاف بتركه الصدع بالحق ، فإنّ هذه الآية : " فاصدع بما تؤمر " هي مكّية أي نزلت على نبيّنا محمد عليه الصّلاة و السّلام في مرحلة الإستضعاف و مع ذلك أمر الله نبيّه بالصدع بالحق و لا يكترث بما قد يفعله المعرضون و المعارضون .

و هذا الهدي هو هدي جميع الأنبياء عليهم الصّلاة و السّلام ، فما من نبيّ إلاّ و صدع بالحق و صبر على ذلك ، و الّذي يتأمّل سيرة الأنبياء و خاتمهم محمد بن عبد الله عليهم الصّلاة و السّلام يجد أنّ أوّل المعارضين للحق الصّادين النّاس عنه هم كبراء القوم و سادتهم أي بلغة العصر هم الحكام ، و مع ذلك لم نر من الأنبياء إلاّ الإصرار في تبليغ شرع الله جلّ و علا فصدعوا بالحق و واجهوا الكبراء بالحق و تحمّلوا الأذى في سبيل الله ، و مثال على ذلك ما أخبر به ربّنا جلّ و علا : قال الله تعالى : " **لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (59) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (60) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (61) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (62) أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (63) فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً عَمِينَ (64)** "

<u>تنبيه :</u> و حتّى ينتبه القارئ فقول الله تعالى : " **و قال الملأ من قومه** " أي سادتهم و قادتهم و كبراؤهم أي الحكام .

قال اله تعالى : " **وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ (65) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (66) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (67) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (68) أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (69) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (70) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (71) فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (72) وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً**

فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (74) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (75) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (76) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (77) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (78) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (79) وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (80) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (81) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (82) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (83) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (84) وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (85) وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (86) وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (87)قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (88) قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (89) وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرُونَ (90) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (91) الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (92) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ".

و لقد سار على نهج الأنبياء عليهم الصّلاة و السّلام علماؤنا الأفاضل الّذي حفظ الله لنا الذّين بهم فكانوا حقّا ورثة الأنبياء و من هؤلاء الأعلام رضي الله عنهم :

ـ الصحابيّ الجليل أبو سعيد الخدريّ سعد بن مالك ، المتوفّى 74 هج

روى البخاريّ في صحيحه[91] عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلّى الله عليه و سلّم يخرج يوم الفطر و الأضحى إلى المصلّى ، فأوّل شيء يبدأ به الصّلاة ، ثمّ ينصرف فيقوم مقابل النّاس

[91] – رقم : 956

– و النّاس جلوس على صفوفهم – فيعظهم ، و يوصيهم و يأمرهم ، فإن كان يريد أن يقطع بعثا قطعه أو يأمر بشيء أمر به ، ثمّ ينصرف .

قال أبو سعيد : فلم يزل النّاس على ذلك حتّى خرجتُ مع مروان – و هو أمير المدينة – في أضحى أو فطر ، فلمّا أتينا المصلّى إذا منبر بناه كثير بن الصّلت ، فإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلّي ، فجذبتُ بثوبه ، فجذبني ، فارتفع فخطب قبل الصّلاة ، فقلتُ له : غيّرتم والله . فقال : أبا سعيد قد ذهب ما تعلم . فقلتُ : ما أعلم والله خير ممّا لا أعلم . فقال : إنّ النّاس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصّلاة ، فجعلتُها قبل الصّلاة .

قال[92] الحافظ إبن حجر : فيه إنكار العلماء على الأمراء إذا صنعوا ما يخالف السنّة . إنتهى

هذا إذا خالفوا السنّة ، فكيف إذا عطّلوا شريعة الله ، و تحاكموا إلى قوانين كافرة ، لا حول و لا قوّة إلاّ بالله.

ثمّ إنكار أبو سعيد على أمير المدينة ، هل كان أمام الملأ ، أم في بيت مغلقة ، كما يشترطه البعض بإسم إتباع السلف ، لا شكّ أنّ المتأمّل للقصّة أنّ إنكار أبو سعيد على الأمير كان أمام الملأ ، و إنكار لم يكن فقط بالكلام بل باليد ، حيث جذبه .

و لهذه القصّة مثيلاتها :

روى أبو يعلى الموصلي[93] عن أبي قبيل ، قال : خطبنا معاوية في يوم جمعة ، فقال : إنّما المال مالنا ، و الفيء فيئُنا ، من شئنا أعطينا ، و من شئنا منعنا . فلم يردّ عليه أحد ، فلمّا كانت الجمعة الثانية قال مثل مقالته ، فلم يردّ عليه أحد ، فلمّا كانت الجمعة الثالثة قال مثل مقالته ، فقام إليه رجل ممّن شهد المسجد ، فقال : كلاّ ، بل المال مالنا ، و الفيء فيئُنا ، من حال بيننا و بينه حاكمناه بأسيافنا . فلمّا صلّى أمر بالرجل فأدخل عليه ، فأجلسه معه على السرير ، ثمّ أذن للنّاس فدخلوا عليه ، ثمّ قال : أيّها النّاس إنّي تكلّمتُ في أوّل جمعة فلم يردّ عليّ أحد ، و في الثانية فلم يردّ عليّ أحد ، فلمّا كانت الثالثة أحياني هذا ، أحياه الله ، سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه و سلّم يقول : " سيأتي قوم يتكلّمون فلا يُردّ عليهم ، يتقاحمون في النّار تقاحم القردة " ؛ فخشيتُ أن يجعلني الله منهم ، فلمّا ردّ عليّ أحياني ، أحياه الله ، و رجوتُ ألاّ يجعلني الله منهم .

أقول : تأمّل كيف ردّ هذا الرجل على أمير المؤمنين معاوية أمام الملأ في مسألة الإستبداد في المال ، فكيف يُنكر بعض أهل العلم لمّا يُردّ على الحكام المستبدّين المعطّلين لشرع الله جلّ و علا أمام الملأ ؟!

الصحابيّ الجليل عبد الرحمن بن أبي بكر ، المتوفّى 58 هج

---

[92] – فتح الباري (2 / 450)

[93] – رقم : 7383 ، قال الهيثمي في مجمع الزّوائد : رواه الطبراني في الكبير و الأوسط ، و أبو يعلى ، و رجاله ثقات . و الحديث في السلسلة الصحيحة للألباني (رقم : 1790)

في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أراد أن يُبايع النّاس إبنه يزيد سنة 56 هج ، و يعهد بالأمر إليه من بعده إعترض عليه كبار الصحابة و فقهاؤهم في تلك الفترة ، و من بينهم عبد الرحمن بن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنهم ، فقد قطع على معاوية خطبته ، و قال له : إنّك و الله لوددت أنا وكّلناك في أمر إبنك إلى الله ، و إنّا و الله لا نفعل ، و الله لتردنّ هذا الأمر شورى بين المسلمين ، أو لنعيدنّها عليك جذعة (أي الحرب)[94] ، ثمّ خرج .[95]

و لمّا قال مروان بن الحكم في بيعة يزيد : " سنّة أبي بكر الرّاشدة المهديّة[96] "

ردّ عليه عبد الرحمن بن أبي بكر ، فقال : ليس بسنّة أبي بكر ، و قد ترك أبو بكر الأهل و العشيرة ، و عدل إلى رجل من بني عديّ ، أن رأى أنّه لذلك أهل ، و لكنّها هرقلية[97] .[98]

و في رواية[99] : جئتم بها هرقلية تبايعون لأبنائكم .

ـ الإمام سعيد بن المسيّب المتوفّى 93 هج

لمّا إستولى عبد الملك بن مروان على الخلافة بالسيف ألزم الناس أن يُبايعوا لإبنيه من بعده الوليد ثمّ لسليمان و ذلك سنة 85 هج ، فأبى سعيد بن المسيّب أن يُبايع و كان إمام أهل المدينة في عصره ، فاقترحوا عليه أن يخرج من المدينة إلى العمرة حتّى يُبايع أهل المدينة .

فقال : لا أجهد بدني و انفق مالي في شيء ليس لي فيه نيّة .

فقالوا : ألزم دارك حتّى ينقضي الأمر .

فقال : و أنا أسمع الأذان حيّ على الصّلاة حيّ على الفلاح ؟! ما أنا بفاعل .

فقالوا : فإذا قرأ الوالي عليك الكتاب فلا تقل لا و لا نعم .

فقال : فيقول الناس : بايع سعيد بن المسيّب ، ما أنا بفاعل .

---

[94] – كان إختيار الخليفة مبنيّ على الشورى ، فلمّا جعلها معاوية مسألة وراثية غضب أصحاب رسول الله عليه الصّلاة و السّلام ، فكيف لو رأوا أسلوب الحكم في زماننا ، ثمّ تأمّل كيف قطع عبد الرحمن خطبة الأمير و نصحه في الملأ ، بخلاف ما يتبجّح به الكثير في هذا الزمان بأنّه لا يجوز نصح الحاكم أمام الملأ ، لا يجوز نصحه امام الملأ في الأمور الّتي لم تتعدّ لغيره ، أمّا مسألة الإنحرافات في الحكم و الّتي تتعدّى مفاسدها إلى الأمّة فيُشرع نصح الحاكم أمام الملأ .

ثمّ تأمّل تهديده بالحرب ، و لا أحد إتّهم أبا عبد الرحمن بأنّه تهييجي ، أو خارجيّ .

[95] – تاريخ خليفة بن خياط (ص : 214)

[96] – أي لمّا ولّى معاوية الإمارة لإبنه يزيد ، كانت شبهتهم تولية أبو بكر الخلافة لعمر رضي الله عنه

[97] – أي أنّكم إتبعتم سنّة هرقل في توريث الحكم ، و ليست سنّة أبي بكر .

[98] – تاريخ الإسلام للإمام الذهبي أحداث سنة 51 هج

[99] – ذكرها الحافظ إبن حجر في الفتح (8/ 577)

فقيل له : أدخل من الباب و أخرج من الباب الآخر .

فقال : و الله لا يقتدي بي أحد من الناس.

فأُمر بضربه و سجنه و عرضه على السيف فلم يرجع عن رأيه[100] .

و قد دخل عليه جماعة و هو في السجن ، فقالوا : إتّق الله ، فإنّا نخاف على دمك .

فقال لهم : أخرجا عنّي ، أترانى ألعب بديني كما لعبتما بدينكما .[101]

ـ الإمام الحسن بن أبي الحسن البصري أبو سعيد ، المتوفّى 110 هج.

لمّا وُلّي الحجاج بن يوسف الثقفي العراق بنى لنفسه بناء في واسط ، فلمّا فرغ منه نادى في النّاس أن يخرجوا للفرجة عليه و الدّعاء له بالبركة ، فلم يشأ الحسن البصري أن يفوّت على نفسه فرصة إجتماع النّاس هذه ، فخرج إليهم ليعظهم و يزهدهم بعرض الدّنيا و يرغّبهم بما عند الله تعالى ، و لمّا بلغ المكان و نظر إلى جموع النّاس و هي تطوف بالقصر مأخوذة بروعة بنائه ، مدهوشة بسعة أرجائه ، وقف فيهم خطيبا ، و كان في جملة ما قاله : لقد نظرنا فيما إبتنى أخبث الأخبثين فوجدنا أنّ فرعون شيّد أعظم ممّا شيّد و بنى أعلى ممّا بنى ، ثمّ أهلك الله فرعون و أتى على ما بنى و شيّد .

ليت الحجاج يعلم أنّ أهل السماء قد مقتوه ، و أنّ أهل الأرض قد غرّوه – و بينما هو يتكلّم أشفق عليه أحد السّامعين ، فقال له : حسبك يا أبا سعيد حسبك . فقال له الحسن : لقد أخذ الله الميثاق على أهل العلم ليبيننّه للنّاس و لا يكتمونه [102].–

و في اليوم التالي دخل الحجاج إلى مجلسه و هو يتميّز من الغيظ ، و قال لجلاّسه : تبّا لكم و سحقا ، يقوم عبد من عبيد أهل البصرة و يقول فينا ما شاء أن يقول ، ثمّ لا يجد فيكم من يردّه أو ينكر عليه ، و الله لأسقينّكم من دمه يا معشر الجبناء.

ثمّ أمر بالسيف و النطع فأُحضرا ، و دعا بالجلاّد فمُثّل واقفا بين يديه ، ثمّ وجّه إلى الحسن بعض الشرطة و أمرهم أن يأتوا به . فأحضر الحسن ، فلمّا رأى السيف و النطع و الجلاّد حرّك شفتيه ، ثمّ أقبل على الحجاج و عليه جلال المؤمن و عزّة المسلم و وقار الدّاعية إلى الله .

---

[100] – تاريخ خليفة بن خياط (ص : 289) ، تاريخ إبن كثير (9 / 64)

[101] – الجامع لإبن أبي زيد القيرواني (ص : 184)

101– فماذا يقول الّذين لا نعرف منهم إلاّ الدفاع عن جرائم حكام هذا الزمان بإسم العلم ، فلو كان الحسن في زماننا لإتّهم في منهجه ، و أصدرت ضده فتاوى تحرّض الحكام على سجنه .

ثمّ في القصّة ردّ على الفرية المعروفة المشهورة و هي لا يجوز الكلام في الحكام أمام الملأ ، ها هو الحسن يسطّر للعلماء العاملين منهج الصدع بالحق و عدم جواز كتمانه ، و قد مرّ تقرير هذا .

فلمّا رآه الحجاج على حاله هذا هابه أشدّ الهيبة ، و قال له : هاهنا يا أبا سعيد .. هاهنا حتّى أجلسه على فراشه ، و النّاس ينظرون إليه في دهشة و إستغراب ، و لمّا أخذ الحسن مجلسه إلتفت إليه الحجاج يسأله عن بعض أمور الدّين ، و الحسن يجيبه بقلب ثابت و بيان ساحر و علم واسع[103] .

فقال له الحجاج : أنت سيّد العلماء يا أبا سعيد . ثمّ دعا بغالية و طيّب له بها لحيته و ودّعه . و لمّا خرج الحسن من عنده تبعه حاجب الحجاج ، و قال له : يا أبا سعيد لقد دعاك الحجاج بغير ما فعل بك ، و إنّي رأيتك عندما أقبلت و رأيت السيف و النّطع فحرّكت شفتيك ، فماذا قلت ؟ . فقال الحسن : لقد قلت : يا وليّ نعمتي و ملاذي عند كربتي ، إجعل نقمته بردا و سلاما عليّ كما جعلت النّار بردا و سلاما على إبراهيم .

- الإمام عبد الرحمن بن عمرو ، أبو عمرو الأوزاعي المتوفى : 158 هج

لمّا دخل عبد الله بن عليّ دمشق ، بعد أن أجلى بني أميّة عنها ، طلب الأوزاعي ، فتغيّب عنه ثلاثة أيام ثمّ حضر بين يديه.

قال الأوزاعي : دخلت عليه و هو على سرير و في يده خيزرانة و المسودّة عن يمينه و شماله معهم السيوف مصلتة ، و الغمد و الحديد ، فسلّمت عليه فلم يردّ ، نكت بتلك الخيزرانة الّتي في يده ، ثمّ قال : يا أوزاعي ما ترى فيما صنعناه من إزالة أيدي أولئك الظلمة عن العباد و البلاد ؟ أجهادا و رباطا هو ؟ .

فقلت : أيّها الأمير سمعت يحي بن سعيد الأنصاري التيمي يقول : سمعت محمد بن إبراهيم يقول : سمعت علقمة بن وقّاص يقول : قال عمر بن الخطاب : سمعت رسول الله صلّى الله عليه و سلّم يقول : " إنّما الأعمال بالنّيات ، و إنّما لكلّ إمرئ ما نوى .."

فنكت بالخيزرانة أشدّ ما ينكت و جعل من حوله يقبضون أيديهم على قبضات سيوفهم .

ثمّ قال : يا أوزاعي ما تقول في دماء بني أميّة ؟.

فقلت : قال رسول الله صلّى الله عليه و سلّم : " لا يحلّ دم إمرئ مسلم إلاّ بإحدى ثلاث ، النّفس بالنّفس ، و الثّيّب الزّاني ، و التّارك لدينه المفارق للجماعة "

---

[103] – فلمّا أخلص خوفه لله وحده أمّنه الله من كلّ المخاوف .

فنكت أشدّ من ذلك ، ثمّ قال : ما تقول في أموالهم ؟.

قلت : إن كانت في أيديهم حراما فهي حرام عليك أيضا ، و إن كانت حلالا فلا تحلّ لك إلاّ بطريق شرعيّ .

فنكت أشدّ ما كان ينكت قبل ذلك ، ثمّ قال : ألا نوليك القضاء ؟.

قلت : إنّ أسلافك لم يكونوا يشقّون عليّ في ذلك ، إنّي أحبّ ما إبتدأوني به من الإحسان .

فقال : كأنّك تحبّ الإنصراف ؟ .

فقلت : إنّ ورائي حرما و هنّ يحتجن القيام عليهن و سترهن ، و قلوبهن مشغولة بسببي .

إنتظرت رأسي أن يسقط بين يدي ، فأمرني بالإنصراف .

رغم خوفه لم يداهن بل صدع بالحقّ .

- سفيان بن سعيد الثوريّ أبو عبد الله الكوفي المتوفّى 161 هج.

/ قال الإمام سفيان : لمّا حجّ المهدي أبو عبد الله محمد بن جعفر المنصور ، قال: لابدّ لي من سفيان .

فوضعوا لي الرصد حول البيت ، فأخذوني باللّيل ، فلمّا مثلت بين يديه ، قال لي : لأيّ شيء لا تأتينا

فنستشيرك في أمرنا ؟ فما أمرتنا من شيء صرنا إليه ، و ما نهيتنا عن شيء إنتهينا عنه .

فقلت : كم أنفقت في سفرك هذا ؟ . فقال: لا أدري ، لي أمناء و وكلاء .

قلت : فما عذرك غدا إذا وقفت بين يدي الله تعالى فسألك عن ذلك ؟ لكنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه

لمّا حجّ ، قال لغلامه : كم أنفقت في سفرنا هذا ؟[104] .

قال : يا أمير المؤمنين ، ثمانية عشر دينارا .

فقال : ويحك أجحفنا بيت مال المسلمين .

و قد علمت ما حدثنا به منصور عن الأسود عن علقمة عن إبن مسعود أنّ رسول الله صلّى الله عليه و سلّم

قال : " رُبّ متخوّض في مال الله و رسوله فيما شاءت نفسه له النّار غدا "

فقال أبو عبيد الكاتب : أمير المؤمنين يُستقبل بمثل هذا ؟ .

103– فكيف بحال حكّام هذا الزمان الّذين يلعبون بأموال الأمّة ، بل جعلوها مسخّرة لأعداء هذه الملّة ، أين هؤلاء الّذين يزعمون أنّهم علماء الّذين إعتادوا الدّخول على الحكّام من مثل هذه المحاسبة لهم ؟ فإن قيل : هذا لا يلزم على الرعية معرفته فالعلماء يقومون بدورهم .الجواب : و ما بال علماء السلف تحدّثوا عمّا كان يجري بينهم و بين حكّام زمانهم ، ثمّ ما قولكم في موقف الحسن حيث نصح و تحدّث عن الحجاج أمام الملأ أم هو عندكم ثوريّ ، حركيّ ، تكفيريّ و خارجيّ ، أليست هذه هي الألقاب التّي تُطلق على كلّ من أراد أن يوقظ الأمّة من سباتها ؟ .

فيجيبه سفيان بقوّة المؤمن و عزّة المسلم : أسكت ، إنّما أهلك فرعون هامان ، و هامان فرعون .

/ و قال سفيان للمهدي : أنظر عمر بن الخطاب .

قال : عمر له أصحاب .

فقال سفيان : فعمر بن عبد العزيز ، فقد كان في فتنة و في ما كان فيه ، فما تكلّم في شيء إلاّ صار سنة .

فقال : فإن لم أطق ؟

قال سفيان : إجلس في بيتك .[105]

و هكذا يتنزّع من يُدافع عن الحكام قائلين أنّهم مكرهون من طرف الغرب الكافر في تحكيمهم للقوانين الوضعية ، و كذا مكرهون في عدم نصرتهم للمسلمين المُعتدى عليهم من طرف الغرب الكافر ، الجواب عن هذه التُّرّاهة ما قاله سفيان الثوري رحمه الله تعالى : ليجلس هؤلاء الحكام في بيوتهم ، و يتركوا الأمر إلى من يقدر أن يتحمّله .

/ و قال[106] سفيان الثوري لرجل من أصحابه ولاّه أبو جعفر المنصور القضاء ، فقال له الثوري : ويحك ذبحوك ، ذبحوك بغير سكّين ، كيف إذا قيل يوم القيامة : أين أبو جعفر و أتباعه ؟ قمت فيهم .

ـ الإمام النّوويّ يحي بن شرف الملقّب بمحيي الدّين المكنّى بأبي زكريا الدمشقي الشافعي المتوفّى 676 هج ببلدته نوى إحدى قرى حوران جنوبي دمشق ، لم يتجاوز عمره الخامسة و الأربعين . رحمه الله تعالى .

لمّا خرج الظاهر بيبرس إلى قتال التتار بالشام ، أخذ فتاوى بجواز أخذ مال من الرّعية يستنصر به على قتالهم ، فكتب له فقهاء الشام بذلك فأجازوه .

فقال : هل بقي من أحد ؟. فقيل له : نعم بقي محي الدّين النّوويّ .

فطلبه فحضر ؛ فقال له : أكتب خطك مع الفقهاء .

فإمتنع (و تقريبا كان من أصغرهم رحمه الله تعالى ، فلم يُعيّر بما نسمعه اليوم من الألقاب) .

فقال له : ما سبب إمتناعك ؟.

فقال : أنا أعرف أنّك كنت في الرّق للأمير " بندقدار " و ليس لك مال ، ثمّ منّ الله عليك و جعلك ملكا ، و سمعت عندك ألف مملوك ، كلّ مملوك له حياصة من ذهب ، و عندك مائتا جارية لكلّ جارية حق من الحليّ

---

[105] – مقدمة الجرح و التعديل (1 / 113)

[106] – نفس المصدر

، فإذا أنفقت ذلك و بقيت مماليكك بالبنود و الصرف بدلا من الحوائص ، و بقيت الجواري بثيابهن دون الحليّ ، أفتيتك بأخذ المال من الرّعية[107].

فغضب الظاهر من كلامه ؛ و قال : أخرج من بلدي – يعني دمشق –

فقال : السّمع و الطّاعة. و خرج إلى " نوى " .

فقال الفقهاء : إنّ هذا من كبار علمائنا و صلحائنا و ممّن يُقتدى به ، فأعده إلى دمشق[108].

فرسم برجوعه . فإمتنع الشيخ ؛ و قال : لا أدخلها و الظاهر فيها . فمات بعد شهر .

و من المعاصرين من سار على درب هؤلاء العلماء الربّانيين فكانوا خير خلف لخير سلف:

- الإمام محمد البشير الإبراهيمي (ولد 1889 بسطيف شرق الجزائر – 19 / 05 / 1965).

كان محرّضا على الجهاد في سبيل الله أيّام الإستدمار الفرنسي ، و كان معارضا لسياسة حكام الجزائر بعد الإستقلال لما رآه من إنحراف النظام على الإسلام في نهجه السياسي والاجتماعي مات رحمه الله في شبه إقامة جبرية .

و من كلمات الإمام رحمه الله تعالى :

/ قال[109] الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في رسالته إلى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ بعد أربع سنوات من الجهاد : إنّ الواجب الذي يفرضه الدّين على أمثالكم أن تقوموا لله بحملة صادقة أنتم أهل للقيام بها في قضية الجزائر؛ فَتُوجِّهوا نداءًا جهيراً إلى المسلمين الذين يشهدون الموسم ليحملوه إلى من خلفهم من المسلمين حين ينقلبون إلى أوطانهم؛ تَحُضُّونهم فيه على مساعدة إخوانهم مجاهدي الجزائر، وتبيِّنون لهم ما يترتب على قعود المسلمين عن نصرة إخوانهم الجزائريين من آثار، أيسرها أن الاستعمار

106– أين هي فتاوى العلماء الذّين إعتادوا الدّخول على الحكّام أو الدّفاع عنهم من مثل هذه المناصحة و حكّام هذا الزمان سلّطوا الضرائب بكلّ أنواعها على طبقة معيّنة من الرعيّة على حساب طبقة ، و فرضوا المكوس عليهم ، بل صاروا – أي الحكّام – يعيشون و كأنّهم يملكون الأرض و العباد .

107– أنظر نفسية هؤلاء العلماء الطّيبة تجاه الإمام النّووي مع أنّه خالفهم ، فكيف بنفسية علماء هذا الزمان تجاه العلماء الذّين وقفوا موقف الحق تجاه هؤلاء الحكّام؟ كان الموقف هو التشهير و التقزيم ، و هذا ما حصل للعلاّمة حمود بن عقلاء الشعيبي رحمه الله تعالى لمّا صدع بالحق في مختلف القضايا حُصر و شوّه ، بل أصدر بعض المشايخ بيانا بعد وفاته في تقزيمه و هو الذّي تخرّج على يديه كثير منهم رحمه الله تعالى .

109 – 13 يونيو 1958 .(الآثار 5 / 221 – 223)

المتساند سينتقم – إن انتصر – لنفسه من المسلمين انتقاماً عاجلاً، وإن طرق الانتقام لكثيرة، وإن وسائله جميعها في يده.

ثم تُوجِّهوا نداءً خاصاً إلى إخواننا سكان المملكة العربية السعودية تُحَرِّضُونهم به على الجهاد بالمال، وأنه قرين الجهاد بالنفس، بل هو مقدم عليه في كتاب الله العزيز، وإن المال لهو الركن الركين في نجاح إخوانكم المجاهدين.... أيّها الأخ الجليل، إن الثورة الجزائرية تعدكم كهفها الأحمى، وإنَّ موقفاً منكم في سبيلها كالمدد في وقت الحاجة إليه، فَهَلا صيحة منكم تحرِّك النفوس الجامدة إلى البذل في سبيل الله، وتهز الهمم الخامدة فتتبارى في سوقٍ بضاعتُها شرفُ الدنيا وعز الآخرة، وقيمتهما مال زائل، وحال حائل . إنتهى

صدق رحمه الله تعالى موقفا من العلماء في سبيل نصرة قضايا الأمّة كالمدد وقت الحاجة إليه ، و إلاّ فهو الخذلان.

/ و قال[110] في ندائه إلى الشعب الجزائري و هو يحضّهم على الجهاد في سبيل الله (البصائر العدد : 276) : وكان العالم يسمع بلايا الاستعمار الفرنسي لدياركم، فيعجب كيف لم تثوروا، وكان يسمع أنينكم وتوجعكم منه، فيعجب كيف تؤثرون هذا الموت البطيء على الموت العاجل المريح، وكانت فرنسا تسوق شبابكم إلى المجازر البشرية في الحروب الاستعمارية فتموّتُ عشرات الآلاف منكم في غير شرف ولا محمدة، بل في سبيل فرنسا وتوسيع ممالكها وحماية ديارها، ولو أن العشرات من الآلاف من أبنائنا ماتوا في سبيل تحرير الجزائر لماتوا شهداء، وكنتم بهم سعداء... أيها الأخوة الجزائريون الأبطال : لم تبْقِ لكم فرنسا شيئا تخافون عليه أو تدارونها لأجله، ولم تبق لكم خيطا من الأمل تتعللون به، أتخافون على أعراضكم وقد انتهكتها ؟ أم تخافون على الحرمة وقد استباحتها؟ أم تخافون على الأموال وقد تركتكم فقراء تلتمسون قوت اليوم فلا تجدونه ؟ أم تخافون على الأرض وخيراتها، وقد أصبحتم فيها غرباء حفاة عراة جياعا أسعدكم من يعمل فيها رقيقا زراعيا معها ويشتري، حظكم من خيرات بلادكم النظر بالعين والحسرة في النفس! أم تخافون على القصور وتسعة أعشاركم يأوون إلى الغيران كالحشرات والزواحف ؟ أم تخافون على الدين، ويا ويلكم من الدين الذي لم تجاهدوا في سبيله، ويا ويل فرنسا من الإسلام الذي ابتلعت أوقافه وهدمت مساجده، وأذلت رجاله، واستعبدت أهله ومحت آثاره من الأرض، وهي تجتهد في محو آثاره من النفوس. .... إن شريعة فرنسا أنها تأخذ البريء بذنب المجرم، وإنها تنظر إليكم مسالمين أو ثائرين نظرة واحدة وهي أنها عدوٌّ لكم وأنكم عدوٌّ لها، و والله لو سالمتموها ألف سنة لما تغيرت نظرتها العدائية لكم، وهي لذلك مصممة على محو دينكم وعروبتكم وجميع مقوماتكم. إنكم مع فرنسا في موقف لا خيار فيه، ونهايته الموت، فاختاروا ميتة الشرف على حياة العبودية التي

---

[110] – البصائر العدد : **276**

هي شر من الموت. إنكم كتبتم البسملة بالدماء في صفحة الجهاد الطويلة العريضة، فاملأوها بآيات البطولة التي هي شعاركم في التاريخ، وهي إرث العروبة والإسلام فيكم. ما كان للمسلم أن يخاف وهو يعلم إنها كتاب مؤجل، وما كان للمسلم أن يبخل بماله أو بمهجته في سبيل الله والانتصار لدينه، وهو يعلم أنها مبايعة مع الله، وما كان له أن يرضى الدنية إذا رضيها في دنياه. أخلصوا العمل لله، وأخلصو بصائركم في الله، واذكروا دائما وفي جميع أعمالكم ما دعاكم إليه القرآن في سبيل الحق، ومن بذل المهج والأموال في سبيل الدين، واذكروا قبل ذلك كله قول الله : [وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم] وقول الله : [كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين]. ... أيها الأخوة الأحرار : إني كلما ذكرت ما فعلت فرنسا بالدين الإسلامي في الجزائر، وذكرت فظائعها في معاملة المسلمين – لا شيء إلا لأنهم مسلمون – كلما ذكرت ذلك احتقرت نفسي واحتقرت المسلمين وخجلت من الله أن يراني ويراهم، مقصرين في الجهاد لإعلاء كلمته، وكلما استعرضت الواجبات وجدت أوجبها وألزمها في أعناقنا الجهاد المقدس، فهو الذي يسقط علينا الواجب ويدفع عنا وعن ديننا العار، فسيروا على بركة الله وبعونه وتوفيقه إلى ميدان الجهاد المقدس فهو السبيل الوحيد إلى إحدى الحسنيين : إما موت وراءه الجنة وإما حياة وراءها العزة والكرامة.

/ قال[111] رحمه الله في رسالة بعنوان " موالاة المستعمر خروج عن الإسلام " : أيّها المسلمون أفراداً وهيئات وحكومات: لا توالُوا الاستعمارَ فإنَّ موالاتَه عداوةٌ لله وخروجٌ عن دينه.

ولا تتولّوه في سِلم ولا حَرب فإنَّ مصلحتَه في السِّلم قبل مصالحكم، وغنيمَته في الحرب هي أوطانُكم. ولا تعاهِدوه فإنّه لا عهدَ له. ولا تأمَنوه فإنّه لا أمانَ له ولا إيمان.

إنَّ الاستعمارَ يلفِظ أنفاسَه الأخيرة فلا يكتُبْ عليكم التاريخُ أنّكم زِدتم في عمره يوماً بموالاتكم له[112]. ولا تحالِفوه فإنَّ من طَبعِه الحيوانيّ أن يأكلَ حليفَه قبلَ عدوِّه. إنتهى

/ و قال رحمه الله تعالى في مقال بعنوان " حالة المسلمين " : صَحَوْنا من نوم الاتكال، فنقلنا إلى نوم التواكل، وخرجنا من نوم الجهل ومن نوم الركود، إلى طفرة تدقُّ الأعناق، وانفلتنا من تنويم ثُجَّار الدين فوقعنا في تَنْوِيم تجار السياسة.

أولئك يمنوننا بسعادة الآخرة من دون أن يسلكوا بنا سبيلها الواضحة، وهؤلاء أصبحوا يُغَنُّون لنا بسعادة الدنيا دون أن يدلونا على نهجها الصحيح، وكانت العاقبة لذلك كله ما نرى وما نحس وما نشكو.

---

[111] – (آثار الإمام 5 / 68 – 70)

[112] – و هذا حال أمريكا اليوم .

وما أضلنا إلا المجرمون الذين يدعونا بعضهم إلى الجمع بوسيلة التفريق ويدعونا بعضهم إلى النجاة بطريقة التغريق، والأولون هم رجال الدين الضالون اللذين فرَّقوه إلى مذاهب وطوائف، والآخرون رجال السياسة الغاشون الذين بَدَّلوا المشرب الواحد، فجعلوه مشارب.

و قال في نفس المقال : أمَّا الفضائل في نظر الإسلام وحكمه فإنها صبغة لا تتحول وحقيقة لا تتغير ولا تتبدل. فالصدق في معناه الإسلامي هو الصدق لا تتصرف في معناه المصالح والمنافع، ولا تتلاعب به الأهواء والمطامع، والوفاء هو الوفاء، والعدل والإحسان والرفق والعفو عند القادر، كل أولئك من الفضائل الثابتة ثبوت الحقائق لا تنال منها تصاريف الأيام، ولا يتصور أن يأتي على الناس يوم تُجْمِع فيه عقول العقلاء على أنَّ الصدق مثلاً رذيلة تَصِمُ صاحبها بالذم إلاَّ إذا جوزنا مجيء يوم يخرج فيه الكون من تدبير الله إلى تدبير الشيطان ويكون أفضل الذكر فيه أن يقال كلما ذكر الشيطان: –رضي الله عنه–.

فالموازين القرآنية للفضائل هي التي يجب أن تحكم في العقول حتى تأْمَنَ على الفضيلة ما يجري بيننا على "الأوراق النقدية".

ونحن أهل القرآن أحق الناس بالدعوة إلى هذا وتبيّنه ونشره في هذا العالم المضطرب الذي فقد الفضائل الإنسانية، فانحدر إلى حيوانية عارمة توشك أنْ تفضي به إلى الفناء.

نحن أهل القرآن – الذي وضع الموازين القسط للفضائل وحثَّ عليها وجعلها أساساً للسعادة، وسلماً للسيادة – أولى الناس بأنْ نَزِنَ النهضات بحظوظها من الفضائل، وأن نبني بأيدينا أساس نهضتنا على صخرة الفضائل طبقاً عن طبق، ونحن – لو أجلنا بصائرنا في القرآن – أبعد الناس عن فساد التصور في تسمية هذه الحركات المتهافتة في المجتمعات الإسلامية نهضة.

/ و قال[113] : أما الأمم الجارية مع الحياة فإنها تحلّ مشكلاتها القديمة لتتفرغ للمشكلات الجديدة، ومن سلك هذا السبيل لم يبق له مشكلة، لأن المشكلات إذا وجدت العقول متهيأة لحلها قادرة عليه متفرغة له لم تعد مشكلة، وما صيّر قضايا العرب مشكلات إلا العرب وعقول العرب، فهم فيها بين حالات ثلاث إما أن يسكتوا فتبقى إشكالاً، وإما أن يعتمدوا في حلّها على غيرهم فيزيدها تعقيداً أو يحلّها لصالحه لا لصالحهم، وإما أنّ يعالجوها بأنفسهم ولكن بنيات مدخولة وضمائر مريضة وعقول ناقصة وغايات متباينة وإرادات مستبعدة ومقاصد تافهة، فلا يكون العلاج علاجاً، وإنما يكون بلاء مضاعفا.

[113] – كتاب " في قلب المعركة " (ص : 102)

ـ **الأستاذ شهيد القلم سيّد قطب رحمه الله تعالى** ، نفذ حكم الإعدام عليه في سحر ليلة الإثنين 29 أوت 1966م.[114]

في ديسمبر سنة 1954م حوكم سيد قطب ، وكانت المحاكمة[115] مفتوحة ويرأس محكمة الشعب فيها جمال سالم وحوله عضوان حسين الشافعي وأنور السادات، ولقد أبدى سيد قطب جرأة نادرة أمام ما يسمّون بالقضاة، حيث قال: نحن نريد أن نسأل، أيّنا أحق بالمحاكمة والسجن نحن أم أنتم ? إنّ لدينا وثائق[116] أنّكم عملاء للمخابرات الأمريكية...، وبدأ يسرد الوقائع والوثائق التي تصمهم بالخزي وتسمهم بالصلات المشبوهة "بكافري" – السفير الأمريكي آنذاك – ممّا إضطر جمال سالم أن يرفع الجلسة ويغلق المحاكمة.

وصدر الحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة،، وبعد فترة ولأسباب صحية خفف الحكم إلى خمسة عشر عاما . وفي أبريل سنة 1964م أقيمت الإحتفالات بمناسبة الإنتهاء من المرحلة الأولى للسد العالي، وإستضافت مصر خريتشوف لمشاهدة الإحتفالات، وأخرج الشيوعيون من السجون تحية لخريتشوف، وكان عبد السلام عارف من بين الذين دعوا للمشاركة في الإحتفال، وتلقى عبد السلام عارف برقية من مفتي العراق الشيخ أمجد الزهاوي يقول فيها: من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب

---

[114] – كنتُ و لله الحمد كتبتُ ترجمة للأستاذ الشهيد نحسبه و الله حسيبه في رسالة بعنوان " لا إله إلاّ الله منهج حياة . "

[115] – السبب أنّها كانت مفتوحة لإمتصاص غضب الشعوب الإسلامية من المحاكمات التعسفية التي كان يقوم بها نظام جمال عبد الناصر حيث قاموا بإعدام سبعة عناصر من الإخوان في محاكمات الّتي بدأت في شهر أكتوبر من نفس السنة

[116] – هذه الأسرار تحصّل عليها الأستاذ لمّا كان مستشار الثورة في المسائل الداخلية ، حيث لمّا قامت الثورة العسكرية 22 /7 / 1952 ، إتّصل رئيس الثورة آنذاك اللواء محمد عبد المجيد يوم 25 / 7 / 1952 بالأستاذ شخصيا طالبا منه أن يكون مستشارا للثورة في الشؤون الداخلية فقبل الأستاذ يومها ، و مضى معهم 6 أشهر ، و خلالها تبيّن له النفوذ الأمريكي في سياسة مصر

منها، فاشفع بسيد . فتوسط عبد السلام لإخراجه فأخرج الأستاذ سيد من السجن في سنة 1964م[117] ، ولقد عرض عليه عبد السلام أن يصحبه إلى العراق ويكون مستشاره، ولكن الأستاذ سيد إستماحه عذرا، متعللا بصحته ، ولكن السبب الحقيقي وراء إعتذاره هو الّذي وضحه قائلا: إنّنا بإسنادنا ولو بالآراء لوضع جاهلي، فإنّنا نحكم بالإعدام على كلّ كتاباتنا ضد الطواغيت وتصبح كلمتنا حبرا على أوراق .

من كلمات الأستاذ الخالدة :

في فصل (هذا هو الطريق): وهو يتحدث عن أصحاب الأخدود من معالم في الطريق: إنّ النصر في أرفع صوره هو إنتصار الروح على المادة، وإنتصار العقيدة على الألم، وإنتصار الإيمان على الفتنة... وفي هذا الحادث إنتصرت أرواح المؤمنين على الخوف و الألم ، و إنتصرت على جواذب الأرض و الحياة ، و إنتصرت على الفتنة إنتصارا يشرف الجنس البشري كلّه.. و هذا هو الإنتصار ..إنّ الناس جميعا يموتون، وتختلف الأسباب، ولكن الناس جميعا لا ينتصرون هذا الإنتصار ولا يرتفعون هذا الإرتفاع، ولا يتحررون هذه التحرر، ولا ينطلقون هذا الإنطلاق إلى هذه الآفاق، إنّما هو اختيار الله وتكريمه لفئة كريمة من عباده، لتشارك الناس في الموت، وتنفرد دون الناس في المجد في الملأ الأعلى، وفي دنيا الناس أيضا، إذا نحن وضعنا في الحساب نظرة الأجيال بعد الأجيال. لقد كان في إستطاعة المؤمنين أن ينجوا بحياتهم في مقابل الهزيمة لإيمانهم، ولكن كم كانوا يخسرون هم أنفسهم، وكم كانت البشرية كلّها تخسر ؟ كم كانوا يخسرون وهم يقتلون هذا المعنى الكبير ؟ معنى زهادة الحياة بلا عقيدة، وبشاعتها بلا حرية، وإنحطاطها حين يسيطر الطغاة على الأرواح بعد سيطرتهم على الأجساد إه.

/ سأله تلاميذه: لماذا كنت صريحا كلّ الصراحة في المحكمة التي تملك عنقك؟ فقال : لأنّ التورية لا تجوز في العقيدة، ولأنّه ليس للقائد أن يأخذ بالرخص.

/ وكان يقول : إنّ إصبع السبابة الذي يشهد لله بالوحدانية في الصلاة ليرفض أن يكتب حرفا واحدا يقرّ به حكم طاغية . رغم أنّ وزارة المعارف تُعرض عليه و هو في السجن.

ويقول: لماذا أسترحم؟ إن كنت محكوما بحق فأنا أرتضي حكم الحق، وإن كنت محكوما بباطل، فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل . بينما حبل المشنقة يلوح أمام ناظريه.

/ وبعد صدور حكم الإعدام وفي يوم الأحد 1966/8/28م وقبل تنفيذ حكم الإعدام جاء قرار موقع من الطاغوت الهالك عبد الناصر: ينفذ حكم الإعدام بكلّ من سيد قطب، محمد يوسف هواش، عبد الفتاح إسماعيل، ومع الكتاب إشارة إلى محاولة إستدراج سيد قطب إلى إعتذار يخفف به حكم الإعدام عنه،

---

[117] – و سبب قبول عبد الناصر هذه الشفاعة لأنّه كان يسعى للوحدة مع العراق بعدما فشل مع الأردن سنة 1957 و مع سوريا سنة 1961 ، و بهذا يكون الأستاذ قضى 10 سنوات في السجن و فيها ألّف كتابه في ضلال القرآن و غيرها من الكتب .

فجاء حمزة البسيوني مدير السجن الحربي إلى حميدة قطب– أخت أستاذ سيد الصغرى و كان محكوم عليها بالسجن 10 سنوات – وأطلعها على القرار، ثمّ أردف قائلا : لدينا فرصة واحدة لإنقاذ الأستاذ، وهي إعتذاره لعبد الناصر، وأنا أتعهد بإخراجه بعد ستة أشهر. قالت حميدة: فجئت أخي فذكرت له ذلك . فقال: لن أعتذر عن العمل مع الله .

/ مقالا كتبه سنة 1952م في كتابه دراسات إسلامية ص: 138 : إنّه ليست كلّ كلمة تبلغ إلى قلوب الآخرين فتحركها، وتجمعها، وتدفعها، إنّها الكلمات التي تقطر دماء لأنّها تفتات قلب إنسان حي. كلّ كلمة عاشت قد إقتاتت قلب إنسان حيّ، أمّا الكلمات التي ولدت في الأفواه، وقذفت بها الألسنة، ولم تتصل بذلك النبع الإلهي الحي، فقد ولدت ميته، ولم تدفع بالبشرية شبرا واحدا إلى الأمام، إنّ أحدا لن يتبناها لأنّها ولدت ميته، والناس لا يتبنون الأموات .

/ كان دائما يردد: أنا لا أستطيع أن أعيش بنصف قلب نصفه لله ونصفه للدنيا .

/ قال الشيخ عبد الله عزام : حدثني أحد الإخوة قال: إنّ مراسم الإعدام تقضي أن يكون أحد العلماء حاضرا عند تنفيذ الإعدام ليلقن المحكوم عليه الشهادتين! فعندما كان سيد يمشي خطاه الأخيرة نحو حبل المشنقة إقترب منه الشيخ قائلا : قل لا إله إلاّ الله .فقال سيد: حتّى أنت جئت تكمل المسرحية نحن يا أخي نعدم بسبب لا إله إلاّ الله، وأنت تأكل الخبز بلا إله إلاّ الله .

ـ الشيخ الصادع بالحق مصباح حويذق رحمه الله تعالى توفي يوم الاربعاء 2/28/ 1973 بمستغانم اثر التعذيب النفسي والجسدي من طرف النظام .

ولد الشيخ مصباح الحويذق عام 1902 في مدينة وادي سوف بقرية الطريفاوي من عائلة متواضعة تلقى دروسه الاولى على يد مشايخ المنطقة فحفظ القرآن الكريم سنة 1917 .

بدأ الشيخ مصباح تعليمه في سن مبكرة في احدى كتاتيب البلدة، بعدها التحق بالزيتونة بتونس عام 1931وبقي هناك حتى سنة 1938 اذ كان يزاول دراسته خارج – نظام الدفتر – .

بدأ التدريس ببلدته سنة 1942 فكانت جموع طلبة العلم تتردد على مدرسته دون انقطاع .

دعي الشيخ مصباح بحضور جمعية العلماء عام 1946 وعلى اثره عين على رأس وفد الدعوة الذي ارسل الى مدينة الحراش اين مكث ثلاث سنوات من 1949 ، اذ كان يشغل منصب مدير مدرسة – الثبات – وبعدها عين مديرا بمدرسة – الاصلاح– بحسين داي بعدها كلفته الجمعية بالدعاية وجمع المال لتأسيس مدارس حرة حتى سنة 1952 حيث عين بمدرسة – بني هنديل – بتلمسان مديرا و مكلف بالناحية ، وفي شهر اكتوبر من سنة 1954 عين بمدرسة مستغانم ومكلفا بالناحية كذالك .

بدأ الشيخ مصباح مع انطلاق الثورة التحريرية سنة 1954 بطلب من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يساند الجهاد ، فاتخذ مدرسة مستغانم مركزا سريا لتهيئة القذائف اليدوية كما كانت مركزا

لتوجيه المجاهدين ليلتحقوا بصفوف اخوانهم ولم تكتشف سلطات الاستعمار هذا السر الا بعد ان خطب الجمعة التي كان يلقيها الشيخ بالمسجد فأثارت مخاوف ادارة الاحتلال ، و في صباح يوم 25 مارس 1956 القي القبض على الشيخ مصباح ونقل الى معتقل "بوسوي" اين التقى برفاقه الشيخان عمر العرباوي رحمه الله والشيخ احمد سحنون رحمه الله، سلط على الشيخ مصباح في السجن شتى صنوف العذاب ورغم ذلك كان يؤم رفاقه في الصلاة .

مكث الشيخ مصباح رحمه الله في السجن 45 شهرا حيث اطلق سراحه19 ديسمبر 1959 واستمر في اعماله السرية.

وفي سنة 1960 أنشأ مدرسة قرآنية بحي "مرفال" بوهران وقد احرقتها العصابة السرية – يهود الجزائر – في جانفي 1962 .

في 1962 عين الشيخ مصباح رحمه الله اماما وخطيبا بالمسجد الكبير بالحراش فبعد ان احس الشيخ رحمه الله بالانحراف الذي طال قادة البلاد الذين خانوا الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم والمجاهدين بانتهاج منهاج – الاشتراكية – مستبدلين المنهج الرباني الذي تعاهدوا عليه قبل الثورة نبه الشعب وذكرهم ان السكوت عن هذا يعتبر خيانة لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللشهداء فعاهد الله عز وجل مع ثلثة من اصحابه، كالشيخ عمر العرباوي رحمه الله على اظهار الحق مهما كلفه ذلك من ثمن واتخذ من مسجد الحراش مركزا لذلك.

فلما احس النظام بخطورة ذلك اخذوا يدبرون المؤامرات ضدّ الشيخ لكنهم وجدوا انفسهم امام جبل راسخ ، بعدها جاءت مرحلة الارهاب فكم من مرة استدعي الشيخ مصباح رحمه الله الى مقر الامن للتخويف لكنه في كل مرة كان يزداد شعورا انه على الحق.

لم يتوقف الشيخ عن نشاطه الدعوي من خطابة وتسفيه وشتم الاشتراكية واصفا ايّاها بالخيانة تارة لله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وللشهداء ، وتارة بأنّها كفر[118] مما جعل النظام آنذاك يخنق عليه وعلى خطبه الجريئة اذ كان يظهر الحق ولو كان الأمر يتعلق بكبير المسؤولين فكانت مدينة الحراش مركز الدعوة واصبحت قبلة للمصلين ترد الوفود اليها من كل حدب وصوب ، في حين كانت المساجد الاخرى تتكلم عن الثورة الزراعية، وفضائل الاشتراكية .

وكان الشيخ رحمه الله على صلة دائمة بالحركات الاسلامية العالمية وكم أحزنه الحكم بالاعدام على شهيد الاسلام نحسبه و الله حسيبه سيد قطب رحمه الله فكتب رسالة وحملها الى سفير مصر بالجزائر طالبا منه أن يبلّغها الى جمال عبد الناصر.

---

[118] – و هذا الوصف ليس خاصا بالإشتراكية ، بل بكلّ قانون يُخالف شريعة ربّ البريّة .

ولم يكتف الشيخ رحمه الله بذلك فقد راسل الرئيس هواري بومدين وعبر له عن سخطه لسياسة البلاد هنا بلغ السيل الزبا بالنظام فانتزع امر الشيخ رحمه الله من يد الامن ليتكفل به مجلس الثورة.

في يوم الجمعة 30 جانفي 1970 خطب الشيخ رحمه الله خطبته الاخيرة بالمسجد الكبير بالحراش وصرح للشعب بالتهديدات فقال : لقد قالوا لي اما ان تنتهي عن عملك هذا وإما قتلناك كالكلب.

وجاء يوم الجمعة المشهود، ولم يخرج للخطبة الشيخ مصباح كالمعتاد وإنما خرج مدرس وخطيب تابع للوزارة – الاشتراكية – فانهال عليه الشعب بالشتم والضرب وقالوا له لا نريد الا الشيخ مصباح رحمه الله وعندها دخل الشيخ مصباح رحمه المسجد وصعد المنبر فكانت آخر خطبة له بالحراش ، حيث بكى فيها و أبكى معه الجموع الحاضرة .

بعد اعتقاله قرر مجلس الثورة ان ينفى الشيخ مصباح رحمه الله من مدينة الجزائر وان لا يسمح له بالدخول الى المدن الكبرى عنابة، وهران و قسنطينة.

فنفي الشيخ الى الجنوب وبالضبط الى مدينة الاغواط ومنها الى مدينة افلو، اخذ الشيخ رحمه الله مكبل اليدين والقدمين ، على شاكلة كبار المجرمين لانه كان يشتم صنم الاشتراكية ويسفه احلام الاشتراكيين ، وكم عانى في طريقه هذا اذ لاقى شتى انواع الشتم واللكم والرش بقرورات الخمر ، ومن مدينة افلو نقل الشيخ رحمه الله الى مدينة مستغانم ومكث فيها ممنوع من صلاة الجماعة والجمعة الى ان استشهد يوم الاربعاء 1973 /2/28 بمستغانم اثر التعذيب النفسي والجسدي الوحشي الذي طاله طيلة هذه الفترة، فان لله وان اليه راجعون ، وحضر جنازته جمع غفير من الجماهير رغم الحواجز التي اقيمت قدموا من داخل وخارج الوطن وقد صلى عليه صلاة الجنازة الشيخ عبد اللطيف السلطاني رحمه الله، فرحم الله الشيخ مصباح رحمة واسعة.

ـ العلاّمة عبد الرحمن الدّوسري توفّي يوم عشرة من ذي القعدة 1399هـ [الموافق 1979م] و قد مضى من عمره 67 سنة.[119]

كان رحمه الله متضلعا في كشف المخططات الماسونية العالمية ، كما كان الشيخ رحمه الله متضلعا في التفسير.

وفي مسابقة من ترتيب وزارة الإعلام السعودية بعنوان تفسير القرآن الكريم بهدف إذاعة التفسير في إذاعة الرياض وإذاعة القرآن الكريم جاء ترتيب الشيخ الأول بين المتقدمين. على إثر ذلك أخذت إذاعة الرياض تنشر له حلقات كلّ يوم بعنوان "مع التفسير", وقد وصل الشيخ في تفسيره إلى أواخر سورة

---

[119] – كنتُ قد نقلتُ ترجمة مع تصرّف يسير للشيخ في رسالة بعنوان مسائل في العقيدة ، و الحمد الله .

المائدة .

فكان رحمه الله يتميز في تفسيره فكان يعطي الآية حقها من عقيدة وعبادات ومعاملات وأخلاق وسياسة ويرد على الملاحدة والطواغيت بالآيات والذكر الحكيم, وفيه أدق الإيضاحات المؤثرة ودحض المبادئ الهدامة كالشيوعية والماسونية .

فأقبل العلماء وطلبة العلم يستمعون ويسجلون هذا الكنز كاللؤلؤ المكنون في تفسير كتاب ربّ الأرباب.

من كلماته : / قال :جعلوا من فلسطين قميص عثمان لو إسترجعوا فلسطين فبماذا يحكمونها؟ مع أنّ إسترجاع فلسطين بدون الرسالة لا يمكن، فلسطين إنتزعها اليهود بعقيدة ولا تنتزع منهم إلاّ بعقيدة أصح منها، يقولون عروبة القدس عروبة القدس، ولا يقولون إسلامية القدس لأنهم لا ينوون أن يحكموها بالإسلام .

/ و في ردّه على القوميين قال : وما أكذب القوميين وأفراخهم إذ يقولون: الدّين لله والوطن للجميع، الدّين لله: صلوا واركعوا وتدروشوا في المسجد، أمّا الوطن فللجميع: لليهودي والنصراني والدرزي والمجوسي ومن يحكم حكما علمانيا بقوانين وضعية.

رغما عن أنوف القوميين أذناب إسرائيل والذين إتضحت خيانتهم في الصلح مع إسرائيل ودقوا آخر مسمار في نعش فلسطين ولعبوا على المسلمين ثلاثين سنة بأخذ التبرعات وإظهار الصيحات الفارغة: الدّين لله والوطن لله، لا لأحد غير الله، يجب أن يحكم فيه بحكم الله وأن تقام فيه شريعة الله... وما سواه فهو وثنية صبغة اليهود بصبغة وطنية.

/ و قال : وفرق عظيم بين تعبيد الله لعباده في سورة الفاتحة، وبين خيالات بعض المسلمين الذين يدفعهم حماسهم للدين إلى نسبة كل شيء مستحدث للإسلام، ففي الوقت الذي طغت فيه كلمة (الديمقراطية) على ألسنة الماديين رأينا من يسمي الإسلام (ديمقراطياً)، ثم في الوقت الذي طغت فيه القومية من يكتب عن قومية الإسلام .. والناس لا يجذبهم إلى الإسلام تسميته بهذه المسميات الجديدة .. والقضية لا تكمن وراء تغيير الأسماء، وإنما القضية قضية تطهير للقلب وتحرير للروح من جميع الأغراض النفسية والعلائق الأرضية، وحصر للاتصال بالله تعالى فقط .

/ و قال في خطبة "الدّين النصيحة ": الناصح لله المحب الصادق في محبته لله لا يحب أحدا من الطواغيت المتنفذين الحاكمين بلادهم حكما علمانيا كافرا يبيحون فيه الخمور والفواحش والزنا حالة الرضا والمراقص والربا والبلاجات (أي الشواطئ) العارية والقمار ويحلون كلّ ما حرم الله ويحكمون بغير شريعة الله هؤلاء لا يجوز للمسلم محبة أيّ رئيس من رؤسائهم ولا التبرع في سبيلهم حتى لو إدعوا حرب إسرائيل وهم لو حاربوها فهم كاذبون .

/ و قال : وجعلت أدمغة الشباب متبلورة بدعاوى الطواغيت – ما فيش – سلاح العدو أوقى ، العدو وراءه أمريكا، هذه الكلمات الملعونة تأثر بها العرب خاصة حيث تكوّنت فيهم هزيمة نفسية وإعتذارات

للطواغيت المصطلحين مع إسرائيل بحجة عدم وفرة السلاح... أنتم مددكم ممن لا تعجزه قوّة في السموات ولا في الأرض أحسنوا علاقتكم بالله وتنالوا من الله كلّ نصر وتأييد.

- شيخ المشايخ المجاهد حمود بن عقلاء الشعيبي رحمه الله تعالى توفي في 4 / 11 / 1422 (الموافق 2002 م) ، و قد مضى من عمره خمسة و سبعون سنة[120] .

يكفي أن يعرف القارئ أنّ من تلامذة الشيخ : الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، و الشيخ صالح الفوزان و الشيخ عبد الله الغنيمان، و عبد العزيز آل الشيخ ، و صالح اللحيدان و غيرهم الكثير ، كما كان رحمه الله تعالى من التلاميذ المقرّبين جدا من العلاّمة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى .

من كلمات الشيخ :

/ قال : ..وإذا تقرر هذا فاعلم أن أمريكا دولة كافرة معادية للإسلام والمسلمين، وقد بلغت الغاية والاستكبار وشن الهجمات على كثير من الشعوب الإسلامية كما فعلت ذلك في السودان والعراق والأفغان وفلسطين وليبيا وغيرها ، حيث تعاونت أمريكا مع قوى الكفر كبريطانيا وروسيا وغيرها في مهاجمتها ومحاولة القضاء عليها.

كما قامت أمريكا بتشريد الفلسطينيين من ديارهم وتركيز إخوان القردة والخنازير في فلسطين، والوقوف إلى جانب دولة اليهود الفاجرة بكل ما لديها من دعم وتأييد بالمال والسلاح والخبرات. فكيف تقوم أمريكا بهذه الأفعال ولا تعتبر عدوة للشعوب الإسلامية ومحاربة لها؟

وإن مما يؤسف له أن كثيرا من إخواننا العلماء غلبوا جانب الرحمة والعطف ونسوا أو تناسوا ما تقوم به هذه الدولة الكافرة من تقتيل وتدمير وفساد في كثير من الأقطار الإسلامية فلم تأخذها في ذلك رحمة ولا شفقة.

/ و لمّا سئل رحمه الله تعالى عمّا يعتذر به بعض من لا يعرف عن الحكام الّذين يحكمون بالقوانين الوضعية أنّهم لم يضعوا هذه القوانين بأنفسهم بل وضعها لهم غيرهم .

قال[121] : فالحاكم الذي يحكم بغير ما أنزل الله تعالى فهو كافر بالله تعالى خارجٌ عن شريعته، ولو لم يكن راض بها لما حكم بها فإن الواقع يكذبه فالكثير من الحكام لديه الصلاحيات في تأجيل الحكم، وتغيير الدستور، والحذف وغيرها.

وإن تنازلنا وقلنا أنهم لم يضعوها ويشرعوها لشعوبهم فمن الذي ألزم الرعية بالعمل بها، ومعاقبة من خالفها، وما حالهم وحال التتار الذين نقل ابن تيمية وابن كثير –رحمهما الله– الإجماع على كفرهم

---

[120] – كنتُ و لله الحمد قد لخّصتُ ترجمة للإمام في كتاب فقه العمليات الإستشهادية .

[121] – أملاه 1 / 12/ 1420 هـ

ببعيد، فإن التتار لم يضعوا ولم يشرعوا [الياسق] بل الذي وضعه أحد حكامهم الأوائل ويسمى جنكيز خان، فصورة هؤلاء كحال أولئك.

وبذلك يتبين أن الحاكم بغير ما أنزل الله تعالى قد يقع في الكفر من جهة أو من جهتين، الأول من جهة التشريع، والثانية من جهة الحكم إن حكم.

/ و قال[122] رحمه الله في قضية هدم الأصنام بأفغانستان : فإن الله سبحانه وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم لكسر الأوثان والأصنام وتحطيمها وأمره بالكفر بالطاغوت والبراءة من الشرك وأهله وألا يعبد إلا هو سبحانه وتعالى وحده لا شريك له ، بل هذا هو أصل دعوة كل نبي بعثه الله سبحانه وتعالى ، يقول عز وجل ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ ، وإن الدفاع عن التوحيد وأبوابه لمن أفضل ما يتقرب به العبد إلى مولاه جل وعلا ، ومن أجل ما تقضى به الأوقات وتفنى به الأعمار ، وما تقوم به حكومة طالبان الإسلامية من عزمها على تحطيم أوكار الشرك والتعدي على ألوهية الواحد القهار ليعد مفخرة للإسلام و أهله وسَحقا للشرك وأهله ، يقول تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ ويقول تبارك وتعالى ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ فعليهم أن يعتصموا بحبل الله سبحانه وأن يكملوا الطريق بأن يقضوا على مظاهر الشرك ورموز الطواغيت ، وألا يكترثوا بمعارضة المعترضين من كفار ، أو استنكار المنهزمين ، بل عليهم أن يمضوا قدما في سبيل إقامة توحيد رب العالمين ، والله ناصرهم ولن يترهم أعمالهم.....

وإن من الكفر بما يعبد من دون الله القيام على هذه الطواغيت والتي فتح أهل الكفر باب الدعوة لها باسم العودة إلى التراث والحضارة ، وباسم الآثار الثمينة ، حتى وصل الحال ببعض الجهلة أن يقول : إن توفير الطعام والكساء والدواء وغيره أهم من القيام على هذه الأصنام !! فجاءوا يهرعون مستنكرين على حكومة طالبان الإسلامية فعلها ، فهل يعد هؤلاء الجهلة إبقاء الأصنام التي يعبدها البوذيون أو غيرهم تراثا وحضارة وأن هناك أمورا أهم منها حتى اتفقوا بقولهم هذا مع صناديد الكفر بالله بتلك الحجج الواهية وتلك الشبه التي ألقوها على عوام المسلمين ليجاروا الكفار متطلبات العصر وضرورات الحضارة زعموا.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى عن ترك تلك الأصنام : (لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوما واحدا ، فإنها شعار الكفر والشرك ، وهي أعظم المنكرات ، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة ألبتة ، وهذا حكم المشَاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثانا وطواغيت تعبد من دون الله ، والأحجار التي تقصد للتعظيم والتبرك والنذر والتقبيل ، لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته ، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى أو أعظم

---

[122] – أملاه **10** / **12** / **1421** هـ

شركا عندهم وبها ، والله المستعان ، ولم يكن أحد من أرباب الطواغيت يعتقد أنها تخلق أو ترزق أو تميت وتحيي ، و إنما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله إخوانهم المشركون اليوم عند طواغيتهم ، فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة ، وأخذوا مأخذهم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم ، فصار المعروف منكرا والمنكر معروفا ، والسنة بدعة والبدعة سنة ، ونشأ في ذلك الصغير وهرم عليها الكبير ، وطمست الأعلام واشتد البأس وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ، ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين ولأهل الشرك مجاهدين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين) اهـ [زاد المعاد 3 / 506].

ولا شك أن حكومة طالبان الإسلامية التي أقدمت على تحطيم آثار الشرك والكفر بالطاغوت من هذه العصابة المحمدية التي ذكرها ابن القيم . ...

وإن الإنسان لا يعجب من تكالب الكفار وما يقومون به من حملة مسعورة على حكومة طالبان الإسلامية لقيامها بهذا العمل الجليل مع أننا لم نر مثل هذه الوقفة منهم لما هدم المسجد البابري في الهند و إنما المستغرب من بعض المنتسبين إلى الإسلام المتطفلين على العلم الشرعي أن يوافقوا الكفار على هذا التنديد لهذا العمل الشريف الذي هو محو للطاغوتية ، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الكفر ملة واحدة ، وأنهم مهما حاولوا تشويه فعل حكومة طالبان الإسلامية هذا أو غيره فإنما هي مخادعة واستغفال مهما طبل لها مطبل ﴿ ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون. . . ﴾ ولا يشك عاقل أن هذه الأصنام التي تريد حكومة طالبان الإسلامية تكسيرها أُوجدت لعبادة غير الله سبحانه .

/و قال[123] رحمه الله في قضية المستوطنات أو المغتصبات الصهيونية على أرض فلسطين الطّاهرة :

ليعلم أن التجارب التي مرت عبر السنين تثبت فشل الأساليب التي تتخذ لمعارضة استيطان اليهود في فلسطين سواء المؤتمرات التي تنعقد أو اللجوء للهيئات الكافرة كهيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن أو ما يسمى بهيئة حقوق الإنسان .. كل هذه الأساليب فشلت بل كان لها أكبر الأثر في ترسيخ استيطان الصهاينة في فلسطين. والأسلوب الناجع في تطهير أرض فلسطين من يهود يتمثل فيما يلي:

1- إعلان الجهاد من قِبَلْ العرب والمسلمين وفتح حدود الدول المجاورة لفلسطين للمتطوعين المجاهدين، وتسليح الشعب الفلسطيني الأعزل الذي لا يملك إلا الحجارة بكل أنواع الأسلحة، ومعلوم أن المسلمين يبلغ عددهم مليار ومائتي مليون نسمة فلو بصقوا على دولة يهود لأغرقوها، ولو نفخوا عليها لأطاروها.

---

[123] – أملاه 1421/8/11 هـ

2- إذا جبن قادة المسلمين والعرب عن إعلان الجهاد تحتم مقاطعة دولة يهود دبلوماسيًا واقتصاديًا وتجاريًا.

3- مقاطعة الشركات اليهودية الداعمة لدولة الصهاينة بالمال.

4- وحيث إن أمريكا هي الداعم الأكبر لليهود فإنها تجب مقاطعتها مقاطعة كاملة .. اقتصاديًا وتجاريًا وثقافيًا، ومقاطعة كل ما تستورده منها الدولة الإسلامية والعربية من بضائع وسيارات وما شابه ذلك.

5- استعمال سلاح البترول وذلك بإيقاف إنتاجه وتصديره إليها أو تخفيفه تخفيفًا يضر بها، وإذا خفف الإنتاج إلى النصف فإن الدول المنتجة لن تتضرر لأن ما ينقص من إنتاجها يعوض عنه ارتفاع الأسعار.

أسأل الله جلت قدرته أن ينصر الإسلام والمسلمين وأن يذل اليهود ومن أعانهم ووقف معهم إنه ولي ذلك والقادر عليه .. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

/ و قال[124] في قضية فلسطين : وعندما أصاب إخواننا في فلسطين ما أصابهم من تقتيل وتشريد وهدم للمنازل والمساجد على من فيها على أيدي إخوان القردة والخنازير أيقنا بأن الإعلام في الدول العربية والإسلامية سيشمر عن ساعديه ويترك أساليبه الهابطة التي كان يسير عليها فإذا هو لم يعبأ بهذه الكوارث واستمر على الاهتمام بالأمور التافهة كالاهتمام بالحفلات الرياضية والحفلات الغنائية وعرض الصور الخليعة المتهتكة والبرامج المنحطة كالمسلسلات الخليعة التي ما أقيمت إلا لإفساد عقائد المسلمين وأخلاقهم وكذلك اهتمام الإعلام بالإشادة بإنجازات الحكام التي لا وجود لها وكيل المديح والإطراء لهم بدون حياء ولا خجل. والآن وحيث قد تبين أن ما يقوم به رؤساء الدول في العالم الإسلامي منذ وجدت عصابة يهود في فلسطين من أساليب موجهه ضد اليهود كالشجب والاستنكار والتنديد بما يقوم به اليهود المجرمون من تدنيس للمقدسات، وقتل للموطنين قد أثبتت فشلها، فإننا نهيب بهؤلاء الرؤساء أن ينبذوا خلافاتهم ويوحدوا كلمتهم ويتركوا هذه الأساليب العقيمة وأن يعلنوا الجهاد المسلح على عصابات يهود فإن ما أخذ بالقوة لا يعاد إلا بالقوة كما أنه يجب على الدول المجاورة لدولة اليهود أن يفتحوا حدودهم معها للمجاهدين المتطوعين لينضموا إلى إخوانهم من مجاهدي فلسطين والعرب، والمسلمون بعد توفيق الله وإعانته لهم لديهم أسباب النصر متحققة ؛ فالعنصر البشري متوفر إذ يزيد تعداد المسلمين على مليار نسمة، والأموال متوفرة لديهم إذ معظم الدول العربية تصب في خزاناتها

---

[124] – أملاه **27 /8/ 1421** هـ

أودية من الذهب من موارد متعددة كالبترول والضرائب والجزاءات والرسوم وغيرها، فيجب عليهم أولاً أن يسلحوا الشعب الفلسطيني بكل ما يحتاجه من سلاح وأن يسلحوا جيوشهم بأحدث أنواع السلاح لأن أموال بيوت المال في الدولة الإسلامية يتحتم صرفها على مصالح بلدانهم كتقوية وإعداد الجيوش وإقامة المشاريع، ودعم المجاهدين في جميع الجبهات التي تحارب أعداء الله سواء في فلسطين أو الشيشان أو الفلبين أو في كشمير أو في أي بقعة من بقاع المسلمين تجري فيها معارك بين المسلمين والكفار. ومن المؤسف أننا عندما نستعرض جوانب الضعف في الأمة الإسلامية والعربية نجد أن من أبرزها الضعف الواضح في العدد والعدة فلا أسلحة ولا رجال، وإن مما يؤسف له حقًا بل يؤلمنا كثيرًا أننا كنا نسمع في ما مضى عبر وسائل الإعلام عن عقد صفقات أسلحة متطورة والتي أعلن عنها في حينها ومع أن هذه المبالغ الطائلة قد أرهقت بيت مال المسلمين ومع هذا فقد كان الكثيرون يستبشرون بعقد مثل هذه الصفقات ظنًا منهم أنها ستكون حصنًا واقيًا بعد الله تعالى لصد أي اعتداء على المسلمين وأراضيهم المقدسة ولكن الذي حدث هو عكس ذلك تمامًا ودليل ذلك أن بعض الدول العربية عندما هوجمت من قبل إحدى الدول المجاورة لم تستطع الصمود أمام من هاجمهم وذلك عائد إلى ضعف استعدادهم العسكري فقد أثبتت هذه الحرب خلو خزائن الأجهزة العسكرية من الأسلحة التي كان الناس يأملون بها والتي عقدت بها الصفقات، كما أن قلة الأسلحة صاحبها شح واضح في الكفاءات البشرية المدربة ولذلك كله لم تتردد هذه الدولة في استدعاء الدول الكافرة لحمايتها والدفاع عنها غير مكترثين بالحكم الشرعي المترتب على ذلك، أليس عارًا ما بعده عار وخزي ما بعد خزي أن نلجأ إلى طلب الحماية من دول الكفر نهيئ لهم الاستقرار في أراضينا التي حرم المصطفى صلى الله عليه وسلم إقامتهم فيها وأمر بإخراجهم منها مع توفير أسباب القدرة بأنفسنا على صد عدوان المعتدي.

/ و قال[125] رحمه الله عن قضية ما يعانيه المسلمون في جنوب فلبين : أما موقف المسلم تجاه القضية الجهادية الفلبينية فيجب أن يكون موقفا يرضي الله ورسوله ، ومن أعظم تلك المواقف هي النصرة والتأييد والإعانة بالنفس والمال واللسان بما يستطيعه المسلم , حيث الإسلام يوجب على أهله الاهتمام بإخوانهم المسلمين والحرص على دفع الشر عنهم وموالاتهم ونصرتهم . قال تعالى: ﴿ وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر ﴾ , وقال تعالى : ﴿ انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ﴾ , وقال عليه الصلاة والسلام : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى), وقال عليه الصلاة والسلام (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، ثم شبك بين أصابعه) ..

---

[125] – أملاه **2/8/1421**هـ

فإذا عرفت هذه النصوص التي قدمناها من حثه سبحانه وتعالى على الجهاد وترغيب الرسول صلى الله عليه وسلم فيه , وكان ما يلاقيه إخواننا في تلك البلاد من قتل وتشريد وهتك للأعراض وتهجير ومحو للهوية وللوجود الإسلامي أدركت أن واجب المسلمين حكاما وحكومات وشعوبا وجماعات وهيئات وتجارا هو شد أزر أولئك المجاهدين ونصرتهم وإعانتهم ورفع الضر عنهم بما يستطيعون ..

وأيضا من المواقف المطلوبة النصرة والإغاثة بالنفس والمال وباللسان ؛ فبالنفس قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ﴾ , أما المال واللسان فقوله عليه الصلاة والسلام : (جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم ...)الحديث..

ومن مجالات الجهاد باللسان ما يتعلق بالخطابة والإعلام مما يتضمن شرح أحوال المجاهدين وإيضاح ما يحصل لهم من انتصارات على العدو , ونشر قضيتهم المنسية في المنتديات والمجالس والمساجد وفي كل مكان .. وهذا هو الواجب على الإعلام : أن يهتم بقضية المجاهدين في الفلبين وغيرها وإيضاح حقيقتهم بدلا من شغل الوقت بالحفلات الغنائية والرياضية وكيل المدح للآخرين من حكام وغيرهم , وبيان شراسة وفظاعة ما يلاقيه إخواننا من هجمات حاقدة تستهدف القضاء عليهم وحرق بلادهم وتهجيرهم .

ومن المجالات أيضا الدعاء والقنوت لهم بالنصر والتأييد وإعلاء كلمة الله التي يقاتلون من أجلها ، وكذلك الدعاء على أعدائهم بالهزيمة والخذلان والتدمير ..

/ و قال[126] رحمه الله تعالى في قضية حرب أمريكا لأفغانستان : ...وبناءً على هذا فإن من ظاهر دولة الكفر على المسلمين وأعانهم كأمريكا وزميلاتها في الكفر يكون كافرًا مرتدًا عن الإسلام بأي شكل كانت مظاهرتهم وإعانتهم، لأن هذه الحملة المسعورة التي ما فتئ يدعو إليها المجرم بوش وزميله في الكفر والإجرام رئيس وزراء بريطانيا بلير والتي يزعمان فيها أنهما يحاربان الإرهاب هي حملة صليبية كسابقاتها من الحملات الصليبية ضد الإسلام والمسلمين فيما مضى من التاريخ، وقد صرح المجرم بوش بملء فيه بذلك، حيث قال سنشنها حربا صليبية،و سواء أكان ثملا عندما قال ذلك أو كان واعيًا فإن هذا هو ما يعتقده هو وأمثاله من أساطين الكفر.

وهذا العداء والحقد على الإسلام والمسلمين من قبل هؤلاء الصليبيين والصهاينة لا يستغرب لأن الكفر وإن كان مِلَلاً شتى إلا أنهم ملة واحدة بالنسبة لعداء المسلمين والحقد عليهم. قال تعالى: ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ .

---

[126] – أملاه **12/ 7/ 1422** هـ

إذا فلا غرابة من عدائهم للمسلمين ومحاربتهم لهم، إن الغرابة كل الغرابة في مظاهرة بعض الحكام والمسلمين لهؤلاء الكفَرة وتقديم العون لهم ومنحهم الأرض والأجواء والقواعد ليستعملها أعداء الله ورسوله في ضرب المسلمين.

وبهذه المناسبة فإننا ندعو جميع المسلمين شعوبًا وحكامًا أن يهبوا لنصرة إخوانهم المجاهدين في الأفغان بكل ما يستطيعون من عون بالنفس والمال والدعاء والدعاية، كما نوصي إخواننا في الأفغان بالصبر والثبات والاستماتة في مقاومة هذا العدوان، وكلنا أمل في الله أن تكون الأفغان مقبرة لهؤلاء الطغاة والمستكبرين كما كانت مقبرة للاتحاد السوفيتي والإنجليز قبلهم.

كما نذكر إخواننا الأفغان بحالة المسلمين يوم الأحزاب حينما تكالبت عليهم قوى الكفر وتحالفوا على غزو المدينة واستئصال شأفة المسلمين إلا أن الله سبحانه وتعالى بقوته التي لا تقهر زلزلهم وفرق شملهم كما أشار سبحانه وتعالى إلى ذلك بقوله سبحانه: ﴿ إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدًا ﴾ .

نسال الله أن ينصر إخواننا في أفغانستان وأن يجمع كلمتهم وأن ينصرهم على اليهود والنصارى ومن شايعهم ومن أعانهم، اللهم عليك بالأمريكان وأعوانهم، اللهم شتت شملهم وأدر الدائرة عليهم. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

/ و كتب إلى ربّاني و سياف لمّا تحالفا مع الصلبيين ضدّ الإمارة الإسلامية طالبان بأفغانستان ،

فقال[127] : الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين:

القائدان رباني وسياف ومن معكما، أكتب لكما هذا الخطاب الذي أرجو الله سبحانه وتعالى أن يؤلف به بين قلوب المسلمين، وأن يجعله سببًا لهدايتكما ومن معكما.

أيها القائدان: إننا لم ننس لكما ولا لمن معكم جهادَكم ضد الاتحاد السوفييتي وفلول الشيوعيين في أفغانستان، وكُنا من قَبْلُ نفتخر أنْ جعل الله في أمتنا أمثال هؤلاء الرجال الذي باعوا كل شيء من أجل العقيدة والدين.

ولكن الذي أحزننا وحز في نفوسنا انقلاب أولئك الرجال على المبادئ وعلى القيم بل وعلى العقيدة والدين، نعم! لقد تألمنا كثيرًا يوم أن أصبحتما ومن معكما رأس الحربة التي تُطعَن بها الإمارة الإسلامية التي شهد القاصي والداني على تطبيقهم للشريعة وحكمهم بكتاب الله وسنة رسوله.

لقد كنا نتذكر قولك يا سياف عندما كنت تقول: (أقيموا دولة الإسلام وأنا مستعد أن أكون فيها إسكافيًا).

---

[127] – أملاه **1422/8/8**هـ

إن قلوبنا لتتقطع عندما نذكر وعدك من على المنبر وأنت تصرخ قائلاً: (إلى شعبنا في فلسطين: نقسم بالله العظيم أننا سنحرر أرضكم أو نموت دون ذلك).

ولقد استعدنا من الذاكرة أيضًا أقوالك يا رباني التي كانت أكثرَ حرارةً من أقوال سياف، ولم ننس وعودك للأقصى بالتحرير، ولم ننس وعودك للأفغان- قبلَهم- بالحكومة الإسلامية.

إن كل تلك الوعود ذهبت أدراج الرياح، إن كل تلك المبادئ رأيناها تحت الأقدام من أجل عرضٍ من الدنيا قليل، يومَ أن لاح لكما ولمن معكما القرار في قصر الرئاسة رأينا كيف صنعتما بالمبادئ.

ألم تكونوا تقاتلون الشيوعيين؟ إذن لماذا وضعتم أيديكم في أيديهم؟ ألم تكونوا تقاتلون الرافضة؟ إذن لماذا تحالفتم معهم؟ لقد تحالفتم مع دستم وقربتموه وأصبح أحد أركان دولتكم، وتحالفتم مع حزب الوحدة الرافضي الذي أسسه (سلطان علي كشتمند) رئيس وزراء الحكومة الشيوعية التي جاهدتم ضدها، وتحالفتم مع الجنرال عبد المالك أحد أركان الجيش الشيوعي الذي جاهدتم ضده، وهو الذي قتل مئات الآلاف من المسلمين، ولقد ضم جيشكم بقايا الحزب الشيوعي الأفغاني السابق.

لا أريد أن أطيل عليكم بتعدد تحالفاتكم المشوِّهة للجهاد وللمجاهدين، ولكن يكفي أنكم شكلتم حكومةً تضم كل هؤلاء، وأعلن وزير دفاعكم الهالك مسعود أن حكومتكم تتبنى الديمقراطية الكفرية التي لا تعترف لا بكتابٍ ولا بسُنَّة.

إن فواجعكم على الأمة الإسلامية يرقق بعضها بعضًا، فقد طالعتنا وسائل الإعلام قاطبةً بتصريحاتكم المصوَّرة والصوتية، والتي تتعهدون فيها بمساعدة التحالف الصليبي ضد الإمارة الإسلامية، وسمعنا التقارير التي تثبت وقوفكم- وبكل قوة- مع التحالف الصليبي ضد الإمارة الإسلامية وضد الشعب الأفغاني الذي يُباد بمشورتكم وبصواريخكم وطائرات التحالف الصليبي، وسمعنا عن تحالفكم مع اليهودي رحمانوف رئيس أوزبكستان.

اعلموا أن أمريكا وروسيا ومن معهما هم أعداء لكم كما هم أعداء لطالبان، ولو انتصروا- لا قدر الله- فسوف يرجعون إليكم ويغزونكم، وما حالكم آن ذاك إلا كحال القائل:

"أُكِلتُ يومَ أُكل الثور الأسود".

واعلموا أن هذا البيان هو محض النصيحة الخالصة لكم، فتوبوا إلى الله وعودوا إلى رشدكم، واتحدوا مع الطالبان، واتركوا تلك التحالفات الصليبية الشيوعية اليهودية.

أسأل الله جلَّت قدرته أن ينصر الإسلام في أفغانستان وغيرها، وأن يهلك الأمريكان ومن أعانهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

/ ليس سرا أن نقول إنّ الشيخ رحمه الله سجن سنة 1417 هـ الموافق 1997م لأكثر من أربعين يوما و كان عمر الشيخ سبعون سنة هكذا يُحترم أهل العلم ، ومنع من الإفتاء عدّة مرّات ومع ذلك لم يقف عن قول ما يعتقده حقا يدين الله به ، بل كان كثيرا ما يردد عند منعه من الإفتاء قول الله تعالى **{إنّ الذين**

يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون}، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة)**، وكان كثيرا ما يحث المشايخ وأهل العلم بأن يقولوا ما يعتقدوه دينا يدينون الله به ولو أصابهم شيء من الأذى حتى لا يلعنوا كما لعن الّذين من قبلهم.

و على جرأته في الحق لقّبه فضيلة الشيخ عبد الله بن قعود عضو هيئة الإفتاء سابقا بمدفع التوحيد .

هذه بعض النماذج الربّانية من علماء السلف الصالح و علماء الخلف الصادق في إتباعه للسلف الصالح و الّذين لم أذكرهم يفوقون عددا من الّذين ذكرتهم فمن امثال علماء السلف الربّانيين الّذين لم أذكرهم الإمام أبو حنيفة النعمان ، و الإمام مالك بن أنس ، و الإمام الشافعي محمد بن إدريس ، و الإمام أحمد بن حنبل و الإمام سعيد بن جبير ...و غيرهم الكثير الكثير .

أمّا من علماء الخلف الصادق : الشيخ عمر العرباوي ، و الشيخ عبد اللطيف سلطاني ، و الشيخ عبد الله عزام ، و الشيخ أبو محمد شرّاطي يخلف ، و الشيخ محمد ناصر الدّين الألباني ، و الشيخ نظام الدّين شمياز ، و الشيخ أبو محمد يوسف العيري ،و الشيخ أبو عمر سيف ...و غيرهم .

الخاتمة أسأل الله حسن الخاتمة

قال الإمام إبن القيم :

يأيّها الرجل المريد نجاته	**إسمع مقالة ناصح معوان**

كن في أمورك كلّها متمسكا	بالوحي لا بزخارف الهذيان
و انصر كتاب الله و السنن الّتي	جاءت عن المبعوث بالفرقان
و اضرب بسيف الوحي كلّ معطل	ضرب المجاهد فوق كلّ بنان
و احمل بعزم الصدق حملة مخلص	متجرد لله غير جبان
و اثبت بصبرك تحت ألوية الهدى	فإذا أصبت ففي رضا الرحمن
و اجعل كتاب الله و السنن الّتي	ثبتت سلاحك ثمّ صح بجنان
من ذا يبارز فليقدّم نفسه	أو من يسابق يَبدُ في الميدان
و اصدع بما قال الرسول و لا تخف	من قلّة الأنصار و الأعوان
فالله ناصر دينه و كتابه	و الله كاف عبده بأمان
لا تخش من كيد العدوّ و مكرهم	فقتالهم بالكِذب و البهتان
فجنود أتباع الرسول ملائك	و جنودهم فعساكر الشيطان
شتان بين العسكرين فمن يكن	متحيّزا فلينظر الفئتان
و اثبت و قاتل تحت رايات الهدى	و اصبر فنصر الله ربّك دان
و اذكر مقاتلهم لفرسان الهدى	لله درّ مَقاتل الفرسان
و ادرأ بلفظ النص في نحر العدا	و ارجمهم بثواقب الشهبان
لا تخشى كثرتهم فهم همج الورى	و ذبابُه أتخاف من ذبان
و اشغلهم عند الجدال ببعضهم	بعضا فذاك الحزم للفرسان
و إذا هم حملوا عليك فلا تكن	فزِعا لحملتهم و لا بجبان
و اثبت و لا تحمل بلا جند فما	هذا بمحمود لدى الشجعان
فإذا رأيت عصابة الإسلام قد	وافت عساكرها مع السلطان
فهناك فاخترق الصفوف و لا تكن	بالعاجز الواني و لا الفزعان
و تعر من ثوبين من يلبسهما	يلقى الردى بمذمّة و هوان
ثوب من الجهل المركّب فوقه	ثوب التعصّب بئست الثوبان
و تحلّ بالإنصاف أفخر حلّة	زينت بها الأعطاف و الكتفان
و اجعل شعارك خشية الرحمن مع	نصح الرسول فحبذا الأمران
و تمسكن بحبله و بوحيه	و توكلن حقيقة التكلان
فالحق وصف الربّ و هو صراطه	الهادي إليه لصاحب الإيمان
و هو الصراط عليه ربّ العرش	أيضا و ذا قد جاء في القرآن
و الحق منصور و ممتحَن فلا	تعجب فهذي سنّة الرحمن

و بذاك يظهر حزبه من حربه	و لأجل ذاك الناس طائفتان
و لأجل ذاك الحرب بين الرسل و	الكفار مذ قام الورى سجلان
لكنّما العقبى لأهل الحق إن	فاتت هنا كانت لدى الديّان
و اجعل لقلبك هجرتين و لا تنم	فهما على كلّ إمرئ فرضان
فالهجرة الأولى إلى الرحمن	بالإخلاص في سرّ و في إعلان
فالقصد وجه الله بالأقوال و	الأعمال و الطاعات و الشكران
فبذاك ينجو العبد من إشراكه	و يصير حقا عابد الرحمن
و الهجرة الأخرى إلى المبعوث	بالحق المبين و واضح البرهان
فيدور مع قول الرسول و فعله	نفيا و إثباتا بلا روغان
و يحتكم الوحي المبين على الّذي	قال الشيوخ فعنده حكمان
لا يحكمان بباطل أبدا و كلّ	العدل قد جاءت به الحكمان
و هما كتاب الله أعدل حاكم	فيه الشفا و هداية الحيران
و الحاكم الثاني كلام رسوله	ما ثمَّ غيرهما لذي إيمان
فإذا دعوك لغير حكمهما فلا	سمعا لداعي الكفر و العصيان
قل لا كرامة لا و لا نُعمى و لا	طوعا لمن يدعو إلى طغيان
و إذا دُعيت إلى الرسول فقل لهم	سمعا و طوعا لستُ ذا عصيان
و إذا تكاثرت الخصوم و صيّحوا	فأثبت فصيحتهم كمثل دخان
يرقى إلى الأوج الرفيع و بعده	يهوي إلى قعر الحضيض الداني
هذا و إنّ قتال حزب الله بالأ	عمال لا بكتائب الشجعان
و الله ما فتحوا البلاد بكثرة	أنّى و أعدادهم بلا حسبان
و كذاك ما فتحوا القلوب بهذه	الآراء بل بالعلم و الإيمان
و شجاعة الفرسان نفس الزهد	في نفس وذا محذور كلّ جبان
و شجاعة الحكام و العلماء زهد	في الثنا من كلّ ذي بطلان
فإذا هما إجتمعا لقلب صادق	شُدّت ركائبه إلى الرحمن
و اقصد إلى الأقران لا أطرافها	فالعز تحت مقاتل الأقران
و اسمع نصيحة من له خُبر بما	عند الورى من كثرة الجولان
ما عندهم و الله خير غيرَ ما	أخذوه عمّن جاء بالقرآن
و الكلّ بعد فبدعة أو فرية	أو بحث تشكيك و رأي فلان
فاصدع بأمر الله لا تخش الورى	في الله و اخشاه تفز بأمان

و اهجر و لو كلّ الورى في ذاته	لا في هواك و نخوة الشيطان
و اصبر بغير تسخط و شكاية	و اصفح بغير عتاب من هو جان
و اهجرهم الهجر الجميل بلا أذى	إن لم يكن بُدّ من الهجران
وانظر إلى الأقدار جارية بما	قد شاء من غَيٍ و من إيمان
واجعل لقلبك مُقلتين كلاهما	بالحق في ذا الخلق ناظرتان
فانظر بعين الحُكم و ارحمهم بها	إذ لم تُرَد مشيئة الديان
وانظر بعين الأمر و احملهم على	أحكامه فهما إذًا نظران
واجعل لوجهك مقلتين كلاهما	من خشية الرحمن باكيتان
لو شاء ربّك كنت أيضا مثلهم	فالقلب بين أصابع الرحمن
واحذر كمائن نفسك اللاتي متى	خرجت عليك كُسرت كَسر مُهان
وإذا إنتصرت لها فأنت كمن بغى	طَفيَ الدخان بِموقَد النيران
والله أخبر و هو أصدق قائل	أن سوف ينصر عبده بأمان
من يعمل السوء سيجزى مثلها	أو يعمل الحسنى يفز بجنان
هذي وصية ناصح و لنفسه	وصّى و بعد سائر الإخوان.

شعبان 1426 هج / سبتمبر 2005 م